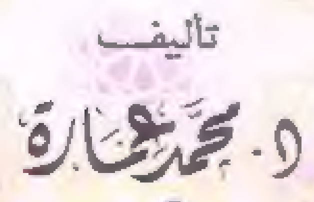
في التنوير الإسلامي

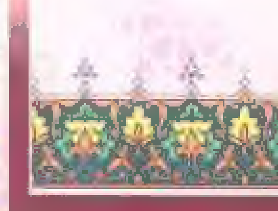
«٧٤»

إسلامية المعرفة ماذا تعني...؟

تأليف

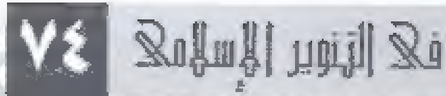
د. محمد عمارة













إسلاميةُ المعرفةِ

ماذا تعني...؟

تأليف

د. محمد عمارة



اسم الكتاب: إسلامية المعرفة ماذا تعني؟
المؤلف: د. محمد عمارة
إشراف عام: داليا محمد إبراهيم
تاريخ النشر: الطبعة الأولى يناير 2007م
رقم الإيداع: 2006 / 22719
الترقيم الدولي: ISBN 977-14-3783-6

الإدارة العامة للنشر: 21 ش أحمد عرابي - المهندسين - الجيزة
ت: 02/3472864 - 02/3466434 فاكس: 02/3462576 ص.ب: 20 إمبابة
البريد الإلكتروني للإدارة العامة للنشر: Publishing@nahdetmisr.com

المطابع: 80 المنطقة الصناعية الرابعة - مدينة السادس من أكتوبر
ت: 8330287 (02) - 8330289 (02) - فاكس: 8330296 (02)
البريد الإلكتروني للمطابع: Press@nahdetmisr.com

مركز التوزيع الرئيسي: 18 ش كامل صدقي - الفجالة - القاهرة - ص.ب: 96 الفجالة - القاهرة
ت: 5909827 (02) - 5908895 (02) - فاكس: 5903395 (02)

مركز خدمة العملاء: الرقم المجاني 08002226222
البريد الإلكتروني لإدارة البيع: Sales@nahdetmisr.com

مركز التوزيع بالإسكندرية: 408 طريق الحرية (رشدي)
ت: 5462090 (03)
مركز التوزيع بالمنصورة: 47 شارع عبد السلام عارف
ت: 2259675 (050)

موقع الشركة على الإنترنت: www.nahdetmisr.com
موقع البيع على الإنترنت: www.enahda.com



أسسها أحمد محمد إبراهيم سنة 1938



«إسلامية المعرفة»..

هذا شعار جديد عرفته حياتنا الفكرية والثقافية منذ سنوات.. وكأى شعار جديد فلقد قوبل بردود فعل متباينة ومتفاوتة، تراوحت ما بين التأييد.. والحذر.. والحماس، غير الواعى، له.. أو ضده!

وإذا كان هذا الشعار جديداً، وإذا كانت جدته قد كانت سببًا فى الكثير من علامات الاستفهام التى قامت من حوله.. فإن من الضرورى - جلاءً لحقيقته - أن نبدأ هذا التمهيد بالإشارة إلى حقيقتين:

الأولى : أن جدة هذا الشعار - «إسلامية المعرفة» - لا تعنى جدة المضمون الذى يعبر عنه، ولا جدة القضية التى يطرحها.. فإسلامية المعرفة - كما سيقيم الدليل عليها هذا التمهيد - هى مهمة فكرية، ورسالة ثقافية عرفتها حضارتنا منذ ظهور الإسلام.. وأول كتاب عرض لهذه القضية - فى تاريخنا الحضارى - هو القرآن الكريم: **فشعار «إسلامية المعرفة» يوحى بالموقف القائل بقيام علاقة ما بين الإسلام وبين المعارف الإنسانية**.. وهذه هى المهمة الفكرية والرسالة الثقافية التى عرفتها حضارتنا الإسلامية منذ ميلادها وتبلورها، والتى قدمتها بديلاً إسلاميًا فى المعرفة للنموذج المادى فى المعرفة الذى كان معروفًا وسائدًا فى حضارات أخرى، غير الحضارة الإسلامية، قبل وعند ظهور الإسلام..

ولذلك، فإننا نأمل أن تكون الإشارات التي يقدمها هذا الكتاب لتاريخ مضمون هذا الشعار «علاقة الإسلام بالمعارف الإنسانية» في تاريخنا الحضاري والفكري والثقافي - شاهدًا على أن جدة الشعار لا تعني أن مضمونه «بدعة فكرية»؛ لأنه في حقيقته مُسَلَّمة من المسلمات الفكرية الراسخة في علوم حضارة الإسلام..

والثانية ، من الحقائق، التي نشير إليها الآن، هي أن جدة هذا الشعار قد أثارت - وهذا طبيعي أحيانًا - ردود أفعال متباينة تجاهه:

● فهناك - غير الذين ينكرونه ويستنكرونه؛ لأنهم ينكرون ويستنكرون - بوعي - أن تكون للإسلام علاقة - أية علاقة - بأي من معارف وعلوم المدنية والحضارة والحياة - هناك - غير هؤلاء - الذين نفهم موقفهم ولابد أن نحاورهم - هناك الذين ينكرونه لجهلهم بحقيقة مراميه ومقاصده.. وهناك الذين يظلمون هذا الشعار - «إسلامية المعرفة» - عندما يرفعونه، ويستخدمونه، مع جهلهم بحقيقة ما يعنيه! فيسيئون إليه أشد من إساءة العقلاء من أعدائه؛ لأنهم يقدمون «الحجج» السلبية التي يستفيد منها هؤلاء الأعداء؟!

في مواجهة هذا الشعار الذي يطرح قضية: قيام علاقة بين الإسلام وبين المعارف الإنسانية.. وطبيعة ومدى هذه العلاقة؟ هناك مواقف، وردود أفعال:

● فمن الناس من يظن أن «إسلامية المعرفة» هي «كهانة - كنسية» جديدة، في دوائر المعرفة.. تريد أن تجعل من علوم ومعارف الحياة، المدنية والحضارية، «دينًا خالصًا» فتقدسها قدسية الدين، وتثبتها ثبات الدين - فهي حجر جديد على الاجتهاد في علوم الحياة، وتجميد لها وجمود يحول بينها وبين التطور

والتغيير. وبهذا الفهم للقضية، نراهم يناصبونها العداء؛ مخافة أن تعيد، من جديد، السيرة الأولى للكنيسة الأوربية مع العلم والعلماء!

● ومن الناس من يحسب أن إسلامية المعرفة إنما تعنى فصالاً تامًا وكاملاً مع العلوم والمعارف الإنسانية - الاجتماعية منها والطبيعية - التى أبدعها العقل الإنسانى فى الحضارات غير الإسلامية.. فهذه معرفة إسلامية.. وتلك كافرة.. والفصال كامل والخصام تام بين الكفر والإسلام! فهم يخشون أن يفضى أمر إسلامية المعرفة بنا إلى قطيعة مع ثمرات العقل غير المسلم فى المعارف والعلوم، فنزداد عزلة ونوغل فى الانغلاق اللذين يفضيان بنا إلى الذبول والانقراض!

● ومن الناس من توهم أن إسلامية المعرفة لا تعنى ولا تكلف ولا تقتضى أكثر من إضافة بعض من آيات القرآن الكريم ومن الأحاديث النبوية الشريفة إلى مناهج وحقائق وقوانين العلوم التى أبدعتها مدارس الفكر الغربى - الإنسانية منها والطبيعية - فكما نستعين باكتشافات العلم الغربى على اكتشاف الإعجاز العلمى فى آيات القرآن الكريم، نستطيع أن نستعين بآيات القرآن الكريم؛ لإضفاء «الإسلامية» على هذا العلم الغربى.. وكفى الله عقولهم «شر» الاجتهاد والإبداع!

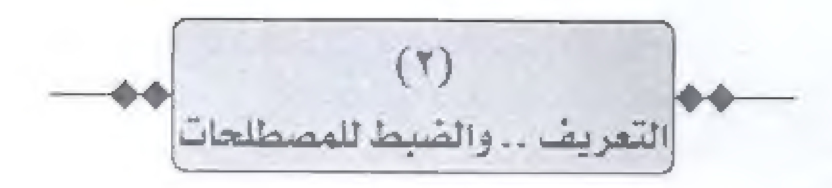
● لكن هناك - غير هؤلاء جميعًا - من يتحفظون على جميع هذه المواقف والرؤى.. ويرون أن إسلامية المعرفة، وإن تكن شعارًا جديدًا، إلا أنه يعبر، فى رأيهم، عن رسالة فكرية جليلة ومهمة ثقافية ثقيلة الحمل! تمثل واحدة من السمات الثوابت والقسمات الأصيلة فى حضارتنا الإسلامية منذ ظهر الإسلام..

وللبرهنة على ذلك، كان لابد من ضبط وتفسير المصطلح والشعار - إسلامية المعرفة - لتبيان المقاصد، وتبديد الغموض.. ليؤيد من يؤيد عن بيِّنة.. ويعارض من يعارض عن بيِّنة.. ويقلع الذين يمتهنون القضية عن هذا الذى يفعلون!

ولابد كذلك من وضع القضية فى مكانها وإطارها الطبيعى والصحيح كبديل إسلامى، ومذهب إسلامى فى المعرفة، يقابل ويخالف المذاهب المادية والوضعية والحسية فى المعرفة.. وإقامة الدليل على أن هذا هو مكان وخطر هذه القضية.. كانت البديل الإسلامى فى المعرفة الذى واجه به القرآن الكريم مذاهب الشرك فى المعرفة المادية.. وكانت البديل الإسلامى فى المعرفة الذى واجه به فكرنا الإسلامى المبكر مذاهب الديانات الوضعية فى المعرفة «الحسية - التجريبية»، عندما رأتها هذه المذاهب مصدرًا وحيدًا لمعارف الإنسان.. فكانت هى - إسلامية المعرفة - «مقالة الإسلاميين» - فى المعرفة الإنسانية - التى واجهوا بها «مقالات غير الإسلاميين» فى هذا الميدان!

كانت كذلك، فى النشأة، وفى التطور.. كما هى الآن، عندما يطرحها هذا الشعار الجديد - إسلامية المعرفة - ليواجه بها مذاهب الحضارة الغربية فى المعرفة.. المادية منها والوضعية.. والتجريبية.. والوضعية المنطقية.. والسلوكية.. وغيرها من المذاهب التى تشترك فى نفى العلاقة بين «كتاب الوحى» - الدين - وبين «كتاب الوجود» - المُدْرَك بحواس الإنسان..

وتلك هى المهمة التى تطمح لبلوغها صفحات هذا الكتاب إن شاء الله..



(٢)
التعريف .. والضبط للمصطلحات

والآن..

ماذا يعني هذا المصطلح – الشعار – «إسلامية المعرفة»؟

● إن «الإسلامية» هي النسبة إلى الإسلام. وإذا كان الإسلام – لغة – هو الخضوع والانقياد لما أخبر به الرسول ﷺ من البلاغ الإلهي المتمثل في القرآن الكريم، ومن البيان النبوي، المتمثل في السنّة النبوية الصحيحة – فإن الإسلام – في الاصطلاح – هو الدين الذي وضعه الله سبحانه وتعالى لعباده ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ﴾[1].. فهو وضع إلهي، يدعو أصحاب العقول إلى قبول ما هو عند الرسول ﷺ.. من البلاغ الإلهي، والبيان النبوي.

فالإسلام – في الاصطلاح – هو: الوضع الإلهي.. وفي اللغة.. هو الانقياد لهذا الوضع الإلهي: أي الانقياد لله، ولما جاء من الشرائع والأحكام التي تلقيناها عن رسول الله[2].

«فالإسلامية» هي النسبة إلى هذا الدين الذي وضعه الله: أي إقامة العلاقة مع الوحي ونبأ السماء.

---

(١) سورة آل عمران: ١٩.

(٢) انظر الجرجاني [التعريفات] – طبعة القاهرة سنة ١٩٣٨م. و[معجم ألفاظ القرآن الكريم] – وضع مجمع اللغة العربية – القاهرة – طبعة ١٩٧٠م.

● أما «المعرفة» فإنها: خلاف الإنكار.. وإدراك الأشياء وتصورها.. فهي: العلم الكسبي الخاص بالبسيط والجزئي والذي فيه إدراك وتصور - وتلك صفات وجهود بشرية إنسانية.

وعندما يراد بـ«العلم»: الاعتقاد الجازم المطابق للواقع.. أو: إدراك الشيء على ما هو به.. أو: حصول صورة الشيء في العقل.. فإنه - وفق هذه التعريفات - يكون مرادفًا للمعرفة؛ لاشتراكه معها في كونه كسبيًا، معتمدًا على الإدراك والتصور، وخاصًا بالبسيط وبالجزئيات.

أما عندما يكون العلم: صفة للإحاطة بالكليات والجزئيات جميعًا، على نحو يكون فيه العلم علة وسببًا للموجود والمعلوم - وليس معلولاً لهما - وغير متوقف على الإدراك والتصور - وأمثالهما من الخصائص البشرية الإنسانية - فذلك هو العلم الإلهي.. المفارق للمعرفة؛ لأن علم الإنسان ومعرفته معلولة ومسببة عن الموجود، وليست سببًا وعلة لوجود هذا الموجود..

فالعلم: منه الكسبي - المرادف للمعرفة - ومنه غير الكسبي - وهو العلم الإلهي.. ولا يسمى معرفة؛ لأن المعرفة كسب، بالإدراك والتصور، في نطاق البسيط الجزئي.. وليس هكذا علم الله، غير الكسبي، والمحيط بالكليات والجزئيات..

فكل «معرفة» هي «علم».. وليس كل «علم» هو بالضرورة «معرفة».. والله - سبحانه وتعالى - عالم.. ولا يوصف بالعارف.. أما الإنسان فإنه عالم وعارف بهذا المعنى الذي حددناه..

وفيما هو بسيط. يقال: علمته، وعرفته. ولا يقال علمته فيما لا يحاط به، لخروجه عن البسيط؛ ولذلك يقال: عرفت الله. ولا يقال علمته؛ لأن المعرفة تقال فيما يُدْرَك بآثاره، ولا تُدْرَك ذاته..

ولارتباط المعرفة بالكسب وبالواسطة - أدوات الإدراك والتصور - كانت خاصية إنسانية.. ويشهد على هذا قول رسول الله ﷺ: «أنا أعلمكم بالله»[1]. وإن المعرفة فعل القلب؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾[2].

وكما لا يقال: الله عارف، كذلك لا يقال في حقه، سبحانه: عاقل.. كما لا تطلق صفة الدراية عليه أيضًا[3].

أي أن بين «المعرفة» و«العلم» خصوصًا وعمومًا..

فالمعرفة إنسانية: لأنها كسبية، وبالوسائط، وخاصة بالبسيط والجزئي، وما يُدْرَك بآثاره، ولا يُدْرَك كنه ذاته.. وتلك من سمات وخصائص وحدود الإنسان.. أما العلم فإنه أعم من المعرفة؛ إذ فيه الكسبي، الواقف عند البسيط، والجزئي - وهذا هو العلم الإنساني - الذي هو معرفة إنسانية.. وفيه كذلك العلم غير الكسبي، علم ما هو مركب، العلم المحيط والكلي، والمُسبِّب للموجودات، وليس المنعكس عنها.. وهذا هو علم الله، سبحانه وتعالى.

(١) رواه البخاري. ولو سأل سائل: لم قال الرسول: «أعلمكم» ولم يقل: أعرفكم؟ فالجواب: أن مصدر المعرفة النبوية هنا هو الوحي لا الكسب، فهي علم.

(٢) سورة البقرة: ٢٢٥.

(٣) انظر في هذه المعاني [معجم ألفاظ القرآن الكريم] و[التعريفات] - للجرجاني - و[المعجم الفلسفي] - وضع: د. مراد وهبة، ويوسف كرام، ويوسف شلالة - طبعة القاهرة سنة ١٩٦٦م.

ولذلك فإن "الوحي" رغم بلوغه لنا عن طريق الرسول ﷺ هو "علم" لا "معرفة" لأنه تنزيل الله وبلاغ الرسول ولا كسب فيه من الرسول ولا اكتساب. أما فهمنا له فهو علمنا به ومعرفتنا به بالكسب والاكتساب فالعلوم الشرعية فيها "علم إلهي" هو البلاغ القرآني والبيان النبوي ... وفيها "معرفة إنسانية" هي اجتهادات المجتهدين وفقه الفقهاء في البلاغ القرآني والبيان النبوي

هذا عن [illegible] المعرفة والتفسير [illegible] إسلامية المعرفة [illegible] عن العلاقة بين الإسلام وبين المعرفة أي الصلة بين "كتاب الوحي" القرآن الكريم وبيانه النبوي وبين "كتاب الوجود" ومعارف الإنسان في علوم الوجود الإنسانية منها والطبيعية

فهي - إسلامية المعرفة - إن المذهب القائل بوجود علاقة بين الإسلام وبين المعارف الإنسانية والرافض لجعل الواقع والوجود وحده المصدر الوحيد للعلم الإنساني وللمعرفة الإنسانية

هي المذهب الذي يقيم المعرفة الإنسانية على ساقين اثنين "الوحي" وعلومه و"الكون" وعلومه وليس على ساق واحدة هي "الوجود"

ولذلك كان تميز هذا المذهب في المعرفة نصا يعتمد كل أدوات وسبل المعرفة المناسبة لإدراك حقائق ومعارف كل من

المصدرين وليس فقط اعتماد الحواس والتجارب لأنها إن نهضت بفهم الإدراك لحقائق الوجود في عالم الشهادة فلن تفي بإدراك حقائق وتصورات كتاب الوحي في عالم الغيب.

وإذا كانت المعارف والعلوم منها ما هو إلهي شرعي ومنها ما هو بشري وعقلي وحضاري ودنيوي، فإن هذا التقسيم لا يعني الفصل التام بين الإلهي الشرعي وبين البشري المدني، وإنما يعني «التمييز» فقط بين العلوم والمعارف التي موضوعها الوحي القرآني والسنة النبوية، فهي إسلامية الموضوع والمصادر والمنطلقات والمقاصد والغايات، وفيها من إبداع جهود المجتهدين وفقه الفقهاء في فهم الوحي وسنته ودليلهم توسع واستقراءهم اجتهادهم في استنباط الجزئيات من الكليات، وفي تقعيد القواعد لها هندسة العلوم.

«التمييز وليس الفصل التام بين هذه العلوم الشرعية وبين العلوم المدنية البشرية الحضارية الإنسانية منها والطبيعية والتي موضوعها الكون – مادته وظواهره وطاقاته – والنفس الإنسانية في ذاتيتها واجتماعها وعلاقاتها، فموضوعات هذه العلوم مدنية ومصادرها ليست الوحي والدين وإنما هي الكون والإنسان والاجتماع الإنساني».

وإذا كانت العلوم والمعارف الإلهية الشرعية هي إسلامية الموضوع والكليات والمنطلقات وفيها من الإبداع

اجتهادات المجتهدين وفقه الفقهاء في الفروع والجزئيات وفي التقعيد فإن علوم الكون ومعارفه بشرية مدنية الموضوع والكتاب والمصنفات والإسلامية التي تعني إيجاد علاقة بينها وبين السنن الإلهية التي جاء بها الوحي في الكون والإنسان والاجتماع وكذلك توظيف هذه العلوم والمعارف عن طريق أسلمة فلسفتها لتحقيق المقاصد والغايات الشرعية التي حددها الوحي لحكمة الخالق سبحانه وتعالى للكون والإنسان

فعلاقة كتاب الوحي الإسلام بالمعارف قائمة أو بحث التقوم في كل أنواع المعارف والعلوم لكن المدى المحقق للإسلامية في هذه المعارف والعلوم يتفاوت «كما» و«كيفا» في «الإلهي الشرعي» منها عن البشري المدني كما يتفاوت في الإنساني - الاجتماعي» منها عن «الطبيعي»

هذا عن التعريف والضبط لمصطلحات هذا الشعار

(٢)
أمثلة .. وتطبيقات

ولكن هذا هو معنى المصطلح والشعار «إسلامية المعرفة» .. أي إقامة العلاقة بين «الإلهي» و«الإنساني» في العلوم والمعارف والعلاقة المناسبة التي تقيم المعرفة الإنسانية على الساقين «الإلهي» و«الكوني» فتحفظ بها وعليها استواء الحق، وتعصمها من «التثنية والانشطار»، وذلك دون أن تصبح «الإنساني» «إلهيا» له قدسية الإلهي وثباته، ودون أن يصبح «الإلهي» إنسانيا كما هو الحال عند الذين جعلوا الدين وضعا بشريا وإفرازا للعقل الإنساني وثمرة من ثمرات الاجتماع الإنساني.. إذ كل هذا هو المعنى المراد من مصطلح والشعار على قضية الإنسانية قضية إسلامية المعرفة .. هي خاصة بهذه العلوم والمعارف «البشرية النسبية»، فهي التي من الممكن أن تكون إسلامية .. إن قامت العلاقة بينها وبين «كتاب الوحي» ومن الممكن أن تكون «لا إسلامية» .. إذا وقفت معارفها عند كتاب الوجود والأدوات الحسية للإدراك.

وإسلامية هذه المعارف معناها أن تصدر إدراكنا وتصوراتنا ومعرفتنا لموضوعاتها حتى تستحضر أسس والقوانين والضوابط والمقاصد الشرعية المتعلقة بها والتي جاءت في كتاب الوحي، وفي بيانه النبوي، أي اكتشاف علاقة «كتاب الوجود»

بـ كتاب الوحي، أثناء دراسة وتطبيق د هـذه العلوم البشرية المدنية الحضارية

ولعل هذا الكتاب، عندما يركز على معنى إسلامية المعارف الإنسانية، أن يقيم الدليل ولو بشكل سريع وغير مباشر على «تهافت» «العلم الوضعي» الذي زعم مذاهب المعرفة الدينية والوضعية بشريته. ولحسن الحظ فليست هذه [illegible] ذات الانتشار في واقعنا الفكري وإنما نقصد [illegible] التي تستحق التركيز عليها هي إسلامية أو لا إسلامية معارف وعلوم الإنسان

وإذا كان الأمر كذلك فلعل أمثلة نضربها على [illegible] إسلامية المعرفة في بعض فصائل هذه العلوم والمعارف البشرية الاجتماعية منها والطبيعية [illegible] نضربها على [illegible] تعنيه هذه العلاقة، المحققة للإسلامية أن تكون مفيدة بل وضرورية عند هذا الحد من هذا الكتاب

● فنحن مثلاً إذ درسنا علم الاقتصاد، باعتباره العلم الذي يبحث في مشاكل التوفيق بين الموارد المحدودة وحاجات الإنسان غير المحدودة والمتفاوتة في الأهمية [illegible] يعمل لتدبير الحلول لمشكلة الإنسان الاقتصادية [illegible] التي تتحدد فيها غاياته وتختلف أهمية كل منها وتقل وسائل الوصول إليها مع إمكانية استعمالها في أغراض متضاربة[1]

[1] انظر في هذا التعريف: معجم العلوم الاجتماعية، وضعه «اليونسكو» طبعة القاهرة سنة ١٩٧٥م

اذ نحن درسنا علم الاقتصاد بهذا الاعتبار وفقط تكون المعرفة الاقتصادية المستخلصة من هذه الدراسة متحررة من «الإسلامية»!

أما اذ نحن درسنا الاقتصاد باعتباره علم تدبير إشباع وكفاية الاحتياجات في ضوء الموارد وعلى ضوء وفي إطار سنن الله والضوابط الشرعية والمبادئ والكليات الإسلامية من مثل فلسفة الإسلام في الملكية، الله هو المالك الحقيقي مالك الرقبة في الثروات والموارد والأموال، ونظرية الاستخلاف وخلافة الإنسان عن الله - استخلاف الإنسان من حيث هو إنسان مستخلف عن الله في الموارد والثروات والأموال به فهو مالكية مجازية - ملكية الانتفاع المحكومة في الحيازة، وفي الاستثمار وفي الإنفاق بمقتضى الشريعة التي هي بنود عقد وعهد التوكيل والاستخلاف

إذا نحن درسنا الاقتصاد في ضوء هذا الإطار الإلهي، تكون قد قمنا علمه على ساقين واستقينا معارفه من مصدرين «كتاب الوجود» الموارد والاحتياجات، و«كتاب الوحي» الفلسفة الإسلامية في الأموال، وهنا تتحقق الإسلامية للمعرفة الاقتصادية على النحو الذي يميزها عن نظيراتها في الفلسفات والمناهج المادية والوضعية

وإن حوار نبي الله شعيب عليه السلام مع قومه أهل «مدين»، والحوار الذي أرخ لهم، والذي حكاه القرآن الكريم حول المفاهيم الاقتصادية، وضوابطها الشرعية، وحول

التصنيفات والمعاملات الاقتصادية المضبوطة بالضوابط الدينية أو المتحررة من هذه الضوابط. إن هذا الحوار لهو نموذج لهذا الذي نقول.

فشعيب عليه السلام كان يرى أن التوحيد والإيمان والصلاة والعبادة لله يقتضي ضوابط لسلوك الإنسان في الاقتصاد والمعاملات المالية: توفية المكاييل والموازين بالقسط عدلا، والامتناع عن بخس الناس أشياءهم في البيع والشراء، والحذر من الإفساد في الأرض.. أي أنه يرى قوة العلاقة بين «الدين» وبين «الاقتصاد» في الفكر والتطبيقات.

أما قومه الذين عصوه فإنهم كانوا يرفضون الربط والعلاقة بين «الدين» وبين «المعاملات المالية الاقتصادية».. فهو يريد اقتصادا مضبوطا بضوابط الدين قائما على معارف الوحي والواقع، كليهما، بينما هم يريدون الفصل ما بين الدين والاقتصاد!

هو يريد «إسلامية الاقتصاد».. فالدين عند الله الإسلام في جميع الرسالات وعند كل المرسلين.. وهم يريدون تحرير الاقتصاد من العلاقة بالإسلام!

والقرآن الكريم يحكي هذا الحوار المحتدم لهذه القضية، والذي بدأه نبي الله شعيب عليه السلام مخاطبا قومه فقال:

﴿يَٰقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَنقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَاكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ (٨٤) وَيَٰقَوْمِ أَوْفُوا

المكيال والميزان بالقسط ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا في الأرض مفسدين (٨٥) بقيت الله خير لكم إن كنتم مؤمنين وما أنا عليكم بحفيظ﴾(1)

لكن قومه اعتبروه [illegible] مستنكرين دعوته الإسلامية الاقتصادية وضبط المعاملات المالية بضوابط الدين [illegible] مدافعين عن حقهم في تحرير الاقتصاد من العلاقة بالدين، فقالوا ﴿يا شعيب أصلاتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء إنك لأنت الحليم الرشيد﴾(2)

لقد عجبوا من ربط دعوته بين التوحيد للمعبود وضبط التصرفات المالية بضوابط الدين ودعوة التوحيد.

فرد عليهم شعيب، معلما إياهم أن الدين [illegible] نبيه لأنه يقتضي ضبط الأموال التي هي رزق الله بضوابط الإصلاح الديني، وذاكرا لهم أنه يريد لهم الالتزام بما يلزم هو به نفسه، حتى لا يحل عليهم غضب الله الذي حل بالأقوام السابقين الذين عصوا نوحا وهودا وصالحا ولوطا عليهم السلام، فقال:

﴿قال يا قوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربي ورزقني منه رزقا حسنا وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب (٨٨) ويا قوم لا يجرمنكم شقاقي أن يصيبكم مثل ما أصاب قوم نوح أو قوم هود أو قوم صالح وما قوم لوط منكم ببعيد﴾(3)

(1) سورة هود: ٨٤ - ٨٦
(2) سورة هود: ٨٧
(3) سورة هود: ٨٨، ٨٩

على هذا النحو حكى القرآن الكريم ذلك الحوار الذي دار بين شعيب وبين قومه حول علاقة كتاب الوحي .. وفقه الاقتصاد!

فإذا حسب الإنسان نفسه سيد هذا الكون، وعنده الإطلاق والإباحة الكاملة لحريته في التصرفات المالية والتدابير الاقتصادية فلن يراعي في طرائق الكسب والاستثمار والإنفاق إلا منفعته ولذته ومصلحته، وفق معايير الإنسانية المحكومة في الحقيقة باللذة والمصلحة! وهنا يكون اقتصاده متحررًا من ضوابط الوحي والدين.

أما إذا آمن الإنسان بأنه ليس سيد هذا الكون، وإنما هو خليفة عن سيد هذا الكون وبارئه وراعيه سبحانه وتعالى، وأنه ليس مالك الرقبة المالك الحقيقي والمطلق الحرية في الأموال والموارد والثروات، وإنما هو وكيل ومستخلف في هذه الموارد والأموال والثروات، فإن طريقته عندئذ في الكسب والاستثمار والإنفاق لابد وأن تكون إذ يريد أن يكون مطيعًا لمن استخلفه محكومة ومضبوطة بالإطار وبالفلسفة والمبادئ الممثلة في عقد وعهد الاستخلاف أي الفلسفة الشرعية في الأموال، وهنا ينضبط الاقتصاد بكافة الضوابط الإسلامية التي جاء بها الوحي و[illegible] في الكسب والاستثمار والإنفاق من مثل فلسفة الإسلام في الملكية والتجارة وأحكامه في الكنز والاحتكار والفروض التي فرضها الله في الأموال والقواعد التي قررها للمعاملات .. الخ

وهنا [نقوم] بإقامة هذه العلاقات بين آيات الاقتصاد في كتاب الوحي وبين آيات الاقتصاد في كتاب الكون لتحقيق إسلامية الاقتصاد في المعرفة وفي التطبيق.

وإن نحن درسنا علم السياسة [illegible] سياسة المسلمين [illegible] والعلاقات الدولية باعتبار السياسة هي الأمر [illegible] والتصور والمعتبر بما هو ممكن [illegible] الحضارة [illegible] الإسلامية والأمة والجماعة تحقيقاً للمصلحة [illegible] مطلق المصلحة والمنفعة مطلق المنفعة، واقترن بهذا العلم عند كونه من ممارسة تقاليد الحكم وعلم السلطة أو الدولة، وفرع العلم السياسي الذي يبحث أصول الحكم وتنظيم شؤون الدولة تدبير يتصف فيه بالجودة والإتقان.

وإن نحن درسنا علم السياسة باعتبار أن هذه هي مصطلحية ومقصدية كانت السياسة متحررة ومتحللة من الإسلامية فلا تكون السياسة عندئذ سياسة شرعية، وهذا ما نخشى في دراسة السياسة هو مدى جعلها في التصور الغربي نفعية صرفة دون تقيد بقيم أو بمقاصد الشريعة فبررت عند ذلك كل الوسائل بصرف النظر عن مدى أخلاقية تلك الوسائل فكان الصراع والقوة أهم العناصر الرئيسية في المفهوم الغربي للسياسة.[1]

[1] انظر في هذه المصادر: المعجم [illegible] القاهرة سنة 1969م [illegible] سنة [illegible] والقاموس [illegible] القاهرة سنة 1969م والموسوعة [illegible] سنة 1983م.

اما اذا نحن اقمنا العلاقة بين «الاسلامية» وبين «المعرفة السياسية» أي الصلة بين «الشرعي» و«المدني» في هذا العلم الذي هو من العلوم الانسانية المدنية، فإننا سنضبط مفاهيمه وممارساته بالمنطلقات والمقاصد الشرعية.

وهذه العلاقة بين «الشرعي» و«المدني» لن تجعل السياسة دينا خالصا ومقدسا ثابتا - لأنها ليست من أركان الدين وأصول الاعتقاد وثوابت الشرع، ولم ينزل الوحي وينطق الرسول ﷺ بكل ما هو لازم لها وفيها. كما أن اقامة هذه العلاقة بين «الاسلامية» وبين «المعرفة السياسية» لا تعني بحال من الأحوال تجاهل الواقع السياسي وخبراته ولا التقليل من مكانته في المعارف السياسية ولا تجاهل «المصلحة والمنفعة» المستفادة من علم السياسة وإنما تعني هذه العلاقة الاضافة الى «الواقع» وضبط خبراته وليس الغاءه وتجاهله والغض من قيمته وضبط «المصلحة والمنفعة» وليس تجاهلها فهي تضيف الى «الواقع» كمصدر للمعرفة السياسية مصدر «الوحي» بسننه الالهية في الاجتماع الانساني وبالقيم وبتكشف والمقاصد الشرعية والحكم المراد تحقيقها من الاجتماع والمجتمعات وتضبط «المصلحة والمنفعة» حتى تكون «المصلحة الشرعية المعتبرة» وليست المصلحة المطلقة والمتحررة من أخلاقيات الدين.

فهي العلاقة التي تضيف وتضبط.. تضيف «للواقع المادي» و«للمعرفة الحسية» وتضبط «الخبرات» المختارة بالمقاصد الشرعية التي حددها الاسلام للسياسة اساسا

وعندئذ لن نجد السياسة «فن الممكن» من خيارات الواقع هكذا بإطلاق.. وإنما سنجدها «الأفعال والتدابير التي تكون الناس معها أقرب إلى الصلاح.. بالمعنى الإسلامي.. وأبعد عن الفساد.. بالمعنى الإسلامي.. حتى وإن لم ينزل بها الوحي أو يشرعها الرسول».. كما قال واحد من علماء السلف - علي ابن عقيل البغدادي [٤٣١ - ٥١٣هـ ١٠٤٠ - ١١١٩م]

وسنجد في السياسة عدداً من الكليات والمبادئ الثوابت التي تمثل «أطراً» «للجزئيات» الفروع المتغيرات التي تتطور بحسب «المصلحة الشرعية المعتبرة»، ووفقاً لاختلافات الأزمان والأماكن وتبدل العادات والأعراف[1].

وفي «السياسة الشرعية» سنجد للدولة - السلطة معنى متميزاً عن معناها في «السياسة المدنية» غير الإسلامية. فهي ليست الجهاز المحايد بين طبقات وفرقاء مختلفة، وليست جهاز القوة والقهر للطبقات والفرقاء المحرومين من السيطرة والسيادة فيها.. وإنما هي دولة التوازن بين الفرقاء المتمايزين المتعددين في مجتمعها.. فالتوازن هو التوسط أي العدل بين الفرقاء المتعددين.

● ففي قانونها توازن بين مبادئ الشريعة - التي هي حاكمية الله - «الاستمداد» - وبين فقه المعاملات - الفروع - الذي هو

١ انظر ابن القيم [إعلام الموقعين] جـ ٤ ص ٣٧٢ ، ٣٧٣ ، ٣٧٥ طبعة بيروت سنة ١٩٧٣م. و[الطرق الحكمية في السياسة الشرعية] ص ١٧ ، ١٩ طبعة القاهرة سنة ١٩٧٧م

تفرد لاجتهاد المجتهدين لأمة ينمو ويتطور مواكبة للمصالح الشرعية المعتبرة.

- وعلى قدم المساواة بين [illegible] ولاة الأمر وبين عامة الأمة [illegible] الأمور وعلى مرتبة [illegible] هي مرتبة الاجتهاد [illegible] ولا عصمة لمجتهد [illegible] الأمة فلاجتماعها العصمة [illegible] التي لا تجتمع على ضلالة[1] [illegible] الرسول الذي يوحى إليه [illegible] الذي هو معصوم فيه لا ينطق عن الهوى [illegible] سياسة [illegible] الاجتهاد البشري والآراء والتدابير [illegible] وعلى هذه الاجتهادات [illegible] في مرض موته [illegible] الناس من كنت جلدت له ظهراً فهذا ظهري فليستقد[2] مني ومن كنت شتمت له عرضاً فهذا عرضي فليستقد مني ومن [illegible] له مالاً فهذا مالي فليأخذ منه ولا يخشى الشحناء من قبلي فإنها ليست من شأني»[3].

[illegible] العصمة للأمة [illegible] وعلى [illegible] الحاكم في الاجتهاد [illegible] حتى ولو كان نبياً ورسولاً!

1- [illegible]

2- أي فليقتص.

3- [السيرة النبوية] لابن كثير ج٤ ص٤٠١ [illegible] [illegible] في سيرة سيد البشر] ج١ ص٣٨٨ [illegible] وتحقيق د. محمد عمارة – طبعة بيروت سنة ١٩٧٧م.

• وتعد الشورى في الأمة مقيدة بسيادة وحاكمية الشريعة

التي هي وضع النبي [illegible] وفي ذات الوقت هي سيرة [illegible] تبقى

مرتبطة بها وصورة [illegible] شرعية واجبة [illegible] حق [illegible]

[illegible] في [illegible] في [illegible] حتى على

رسول الله [illegible] وشاورهم في الأمر [illegible] وصفة [illegible] الأمة

[illegible] وأمرهم شورى بينهم

[illegible] وفي سيرة [illegible]

ورسول الله [illegible] الوحي [illegible]

[illegible] والشورى الاجتماعية [illegible] في كل [illegible] ورسول الله

[illegible] لأبي بكر وعمر لو اجتمعتما في مشورة

ما خالفتكما [illegible]

كل مؤمن أحد دون مشورة المؤمنين لأمر من أمورهم [illegible]

عبدالله بن مسعود

وعلاوة على [illegible] الشورى [illegible]

[illegible] الدولة [illegible]

[illegible] مشروط ومرهون [illegible]

[illegible] الأمر

[illegible] أولي الأمر [illegible] في الموضعين [illegible]

[illegible] هذا المصطلح في القرآن الكريم [illegible]

(١) سورة آل عمران ١٥٩

(٢) سورة الشورى ٣٨

(٣) رواه الإمام أحمد

(٤) رواه الترمذي وابن ماجه والإمام أحمد

«الجماعة» لا الفرد. وربط الطاعة لأولي الأمر بكونهم من الأمة: ﴿أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم﴾(1) وجعل [illegible] الأمن أو الخوف أذاعوا به ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم﴾(2). فهو يزكي القيادة الجماعية الشورية للدولة. ويشترط لطاعة أولي الأمر من غير الأمة، أن يكونوا أهلا لموضع الاختيار ومصدر الثقة وأهلا لقيادة الأمة وسياسة مجتمعها وتمثيل مصالحها الشرعية المعتبرة.

- ونجد في إطار هذه «الدولة» التعددية في إطار الوحدة تعددية أهل الشرائع الدينية المختلفة في إطار الإيمان الديني والتعددية للتيارات التي تتنوع اجتهاداتها في الفروع داخل إطار الوحدة في الأصول..

ونجد ذلك ـ ومثله كثير ـ في «دولة» السياسة الشرعية التي تتميز «معرفتها السياسية» ـ الإسلامية ـ بأن قامت العلاقة بين ما هو «شرعي» وما هو «مدني» في هذا العلم من علوم الإنسانية.

- وإذا نحن رسمنا موضوعات العلم الزراعي ـ [illegible] ـ وبذور ومياه ومناخات ـ فإن حقائق هذا العلم ولو [illegible] كواحد من العلوم الطبيعية ـ لن تتغاير بتغاير معتقدات وحضارات وقوميات وبيئات الدارسين. ففي العلوم التي تتميز

(1) سورة النساء: 59.

(2) سورة النساء: 83.

«موضوعاتها» بالثبات والحياد تتميز حقائقه وقوانينها هي الأخرى بالثبات والحياد فهي مشترك إنساني عام ليس فيه شرقي وغربي أو إسلامي ومسيحي أو مؤمن وكافر «فالواقع» هو مصدر معرفتها والمحسوس هو أداة المعرفة فيها

لكن «إسلامية» العلم الزراعي تعني ضرورة تقديم العلاقة بين المقاصد الشرعية من الزراعة وبين تطبيقات وتوظيف حقائق وقوانين هذا العلم الزراعي أي ضرورة تقديم العلاقة بين «خصوصية الإسلامية» في «فلسفة العلم الزراعي» وبين حقائق وقوانين الزراعة التي هي مشترك إنساني عام

فحقائق وقوانين العلم الزراعي ككل حقائق وقوانين العلوم إذا نحن وضعناها في دائرة الإيمان بخالق هذا الكون الذي أمرنا بالنظر والتدبر والذي أعاننا عليه [illegible] هذا الموقف في العلماء الذين هم أكثر خشية لله لأنهم الأكثر معرفة بأسرار العلوم الكاشفة عن بعض أسرار الله في الكون ﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾(1)

أما إذا لم توظف الحقائق العلمية هذا التوظيف الإيماني فإنها قد تقود وتفضي إلى علماء لا يعلمون سوى ظاهر من الحياة الدنيا ومن ثم يقودهم الغرور إلى تأليه العلم والعلماء باعتباره دين العصر وباعتبارهم الروحيين الجدد وقد شهدنا ذلك عندما تقدمت العلوم في أوربا حديثا وفي ظل

(1) سورة فاطر: 28

«العادية والوصفية [illegible] علماء [illegible] صيحة مبكرة فقالوا
لقد [illegible] نعني [illegible] صاحوا [illegible] على كثير

وجه [illegible] فكما يمكن توظيف حقائق العلم
[illegible] والزراعية [illegible] توظيف [illegible]
للتقوى في تحقيق مقاصد الشريعة [illegible]
[illegible] وفي المحرمات [illegible] حقائق
[illegible] الزراعة
[illegible] وتوظيف [illegible] حقائق
وقوانين الزراعة

[illegible] كلمة [illegible] وتوظيف [illegible] الذي يستخدم
في تصنيف الأرض الزراعية [illegible]
في العلم الصحيح الذي هو مشترب [illegible]
[illegible] والفلسفات [illegible]
[illegible] خصوصيات حضارية

[illegible] استخدام وتوظيف [illegible]
باختلاف [illegible] الحركة [illegible]
[illegible] وباختلاف [illegible] الأرض
[illegible] هذه الكلمات

- فالحفاظ على التوازن بين المكونات الطبيعية والقوى الذاتية والعناصر [illegible] للأرض الزراعية [illegible] في الانتاج الزراعي وقدرتها على العطاء هو موقف وفلسفة [illegible] استخدام الكيمياء [illegible] السماد بالقدر الذي يحقق هذا التوازن

أما فلسفة «قهر الأرض» النابعة من فلسفة «قهر الإنسان للطبيعة» فتعطي لأكبر عائد مادي ووفر محصول في أقصر وقت بصرف النظر عن الأذى الذي يصيبها، عندئذ تتحول التربة تركيبيا بفعل الصناعة على التصنيع فيه وعلى حساب مستقبلها، والذي هو مستقبل الأجيال التي ستحيا عليها. أما هذه الفلسفة، فلسفة قهر الطبيعة فتعتمد على معدلات الوفرة المادية في اللحظات الآنية، فلسفة «وأعظم من الحصر لديه» بأي ثمن، وبصرف النظر عن النتائج. فإنها هي التطبيقات التي تتغاير وتختلف باختلاف الفلسفات والعقائد والحضارات.

ويتوقف على مشروع الغابات هو السعي في فهم الغابات وفهم الاستزراع قوانينه وحقائقه العلمية الخاصة والأساسية، كما أن قطع شجر الغابات هو السبيل الى الحصول على الخشب وسد حاجته وقوته العامة. وليس هناك مغايرة في حقائق وقوانين الاستزراع للغابات، ولا في حقائق وقوانين القطع لأشجارها بتغاير مذاهب الأمم والحضارات والديانات.

لكن إزالة الغابات، وتجريد الأرض منها لمشروع زراعي بالمحاصيل الأخرى أو للانتفاع بأخشابها، أو لإقامة المشروعات غير الزراعية عليها، أو إبادتها لتلوث بالحروب دون عناية بالعامل الثوري البيئي الذي يحفظ وجودها عليه ويحس به فقط وإن انتهت هي فلسفة مدمرة في العصر للطبيعة، وفي التعامل مع البيئة والمحيط، إنها فلسفة التي

نشهد اليوم آثار شيوع تطبيقاتها في صور الإخلال بتوازن البيئة، الأمر الذي يجر على الإنسانية الكوارث والمخاطر الجسام

إن الفيضانات والسيول التي تعاني منها بلاد عدة في شبه القارة الهندية، لها علاقة عضوية بتجريف غابات الهملايا من [illegible]، وإن الجفاف الأساسي عن تغير مواعيد [illegible] الأمطار التي تسقط على بلاد القارة الأفريقية هو نتيجة مباشرة لتجريد هذه القارة من غاباتها!

ومثل هذه الأمراض تحدث وبنسبة في أمريكا اللاتينية في حوض الأمازون – وغيرها من المناطق التي وظفت فيها حقائق العلم الطبيعي وقوانينه لتحصيل أكبر عائد مادي في أقصر وقت، بصرف النظر عن تأثيرات ذلك على توازن البيئة والمناخ!

وقس على ذلك قضية «كيمياء المبيدات الحشرية» تلك التي لا تتغير هي الأخرى حقائق علمها وقوانين تجاربها ولكن فلسفات توظيفها، والأسس التي استخدمت فيها هي التي تتغير وكانت تغرب هذه التطبيقات تمام الحفاظ على توازن الوجود والأحياء، كل الأحياء وحماية الأحياء [illegible] وعلى عناصر الوجود كل جواهر الوجود [illegible] على النحو الذي سوى فيه [illegible] وطبقه في [illegible] ومع الحفاظ على الوجود [illegible] التجربة الإنسانية وتطبيقاتها فيما [illegible] فيه فلسفة الغربية الحديثة من تطبيقات [illegible] الثمرات!

فحقائق العلم الطبيعي لا تتغاير، وقوانينه لا تختلف باختلاف العقائد والفلسفات والحضارات، لكن فلسفة تطبيقه، ومقاصد توظيفه هي التي تختلف وتتغاير باختلاف المعتقدات وبتغاير الحضارات.

فنحن مدعوون انطلاقا من إسلامية فلسفة العلم الطبيعي إلى التصرف في آيات كتاب الوحي التي أشارت إلى تحديد كروية الأرض ﴿ألم نجعل الأرض مهادا * والجبال أوتادا * وخلقناكم أزواجا﴾(١)

ونحن مدعوون كذلك إلى النظر في الآيات التي تتحدث عن التوازن والميزان بين كل أجزاء الخلق وسائر أصناف المخلوقات.

• • •

إن الأحدية في الألوهية - ومعنى التوحيد - هي الدليل العقلي لمصدر الاتساق والانسجام في المخلوقات ﴿أم اتخذوا آلهة من الأرض هم ينشرون * لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا فسبحان الله رب العرش عما يصفون﴾(٢) بينما التعددية والتوازن والزوجية للمخلوقات في كل عوالم الموجودات التي خلقها الله متعددة التنوع ﴿وهو الذي مد الأرض وجعل فيها رواسي وأنهارا ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين يغشي الليل النهار إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾(٣) ﴿ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون﴾(٤)

(١) سورة النبأ: ٦ - ٨
(٢) سورة الأنبياء: ٢١، ٢٢
(٣) سورة الرعد: ٣
(٤) سورة الذاريات: ٤٩

تنطق هذه المعجزة في المخلوقات والتوازن بين مكوناتها في المقتضيات العدل والصلاح في هذه المخلوقات. وصدق الله العظيم إذ يقول: «كلا إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى»[1]

والمعجزة في طبقات الأرض وفي مكوناتها، وقيام التوازن بين هذه الطبقات وهذه المكونات، والمعجزة في طبقات السماء وفي مكوناتها، وقيام التوازن بين هذه الطبقات وهذه المكونات، هو المعبر عن قيام إسلامية المعرفة في فلسفة علوم الطبيعة عن طريق ظواهرها وقوانينها وما فيها من سنن وطاقات.

وهذا هو معنى «إسلامية فلسفة العلم الطبيعي» التي تقف عندها إسلامية المعرفة في العلوم الطبيعية، ولا تتعدى إلى حقائق وقوانين هذه العلوم التي هي بنت التجربة كمصدر أول لاكتشافاتها ولتطورها.

وقس على هذا المعنى ما نعنيه بإسلامية المعرفة في العلوم والمعارف الطبيعية الأخرى، فالحقائق والقوانين الكونية لا تتمايز بتمايز المعتقدات والحضارات، لكن توظيفها يختلف باختلاف فلسفة العلم التي يعتنقها أهل التطبيق والتوظيف لهذه الحقائق والقوانين، ومثل ذلك الطب والطاقة والكيمياء والفيزياء، وغيرها من العلوم المحايدة الكونية.

(١) سورة العلق ٦، ٧.

[illegible]

(١) سورة إبراهيم ٣٢، ٣٣ (٢) سورة النحل ١٢

(٣) سورة النحل ١٤ (٤) سورة الحج ٦٥

(٥) سورة لقمان ٢٠ (٦) سورة الزخرف ١٠ - ١٣

بأمره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون (١٢) وسخر لكم ما في السماوات وما في الأرض جميعاً منه إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾[1] ﴿والبدن جعلناها لكم من شعائر الله لكم فيها خير فاذكروا اسم الله عليها صواف فإذا وجبت جنوبها فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر كذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون (٣٦) لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم كذلك سخرها لكم لتكبروا الله على ما هداكم وبشر المحسنين﴾[2]

إذا نظرنا إلى العلاقة بين الإنسان وهذه الظواهر والقوى التي سخرها الله سبحانه وتعالى له فإننا نجد هذه العلاقة إذا كانت إسلامية ضوابطها تسيرها على حالها إلا من يخرج عن ضوابط الإسلام.

فتسخير ظواهر الطبيعة وقواها وكنوزها يجعل الإنسان متسلطاً عليها في فلسفة هذه العلاقة والاختلال بالعلاقات بين الجوانب هو مما يتنافى مع المعنى الإسلامي لمصطلح التسخير، تسخير الله هذه الظواهر والقوى والكنوز للإنسان.

فليس «التسخير» هو تفوق وقهر من شأنه تهديد الظواهر والقوى ولكنه بالنسبة للإنسان يعني الارتفاق، لقد سخرها الله له ليرتفق عنها وبها، فالكون له مرتفق يرتفق به، والإنسان مطالب بالرفق بالحيوان الذي سخره الله له، والتسخير لا يعني القهر للمرتفق والتدمير مما يتنافى مع حكمة خلقه وتسخيره للإنسان».

(١) سورة الجاثية: ١٢، ١٣.

(٢) سورة الحج: ٣٦، ٣٧.

تلك هي «سلامة علاقات الإنسان بمظاهر الطبيعة وقوانين الأرض» بصفحاتها وبحارها وأنهارها وغاباتها وجبالها، والسموات بصفحاتها وكواكبها ونجومها وأقمارها، وما بين السماء والأرض من الهواء.

فهذه العلاقة الإسلامية، تحفظ الإنسان، لا سلامته وسلامته، فقط وإنما تحفظ سلام وسلامة صفحات الكون عندما تحافظ على التوازن والاتزان والسريان في هذه «الصفحات» في هذا «الكتاب»!

ونحن إذا تأملنا مدلولات مصطلح «الميزان» وبعض مشتقاته في المواطن التي جاءت بها في القرآن الكريم، سياق الحديث عن الطبيعة وقوانينها ومظاهرها وآياتها، ستتكشف لنا خطر هذا المعنى لإسلامية علاقة الإنسان بهذه القوى والظواهر والآيات التي سخرها الله وسخرها لهذا الإنسان: «والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل شيء موزون ۞ وجعلنا لكم فيها معايش ومن لستم له برازقين ۞ وإن من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم ۞ وأرسلنا الرياح لواقح فأنزلنا من السماء ماء فأسقيناكموه وما أنتم له بخازنين»(1) فحافظوا في علاقتكم بهذه الآيات الكونية على الميزان، والتقدير الإلهي.

«الله الذي أنزل الكتاب بالحق والميزان»(2) «لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط»(3) فكما أنه

(1) سورة الحجر ١٩ - ٢٢ (2) سورة الشورى ١٧
(3) سورة الحديد ٢٥

مطالبون [illegible] بالحفاظ على [illegible] كتاب الوحي [illegible] مطالبون [illegible] بالحفاظ على [illegible] كتاب الكون والوجود.

ومن منا لا يرى هذه الحقيقة حقيقة دعوة القرآن إلى «سلامة العلاقة بين الإنسان [illegible]» [illegible] في «كتاب الكون»، يراها مجسدة إذا هو تدبر الآيات الأولى من سورة الرحمن: ﴿الرحمن (١) علم القرآن (٢) خلق الإنسان (٣) علمه البيان (٤) الشمس والقمر بحسبان (٥) والنجم والشجر يسجدان (٦) والسماء رفعها ووضع الميزان (٧) ألا تطغوا في الميزان (٨) وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان (٩) والأرض وضعها للأنام (١٠) فيها فاكهة والنخل ذات الأكمام (١١) والحب ذو العصف والريحان (١٢) فبأي آلاء ربكما تكذبان (١٣) خلق الإنسان من صلصال كالفخار (١٤) وخلق الجان من مارج من نار (١٥) فبأي آلاء ربكما تكذبان (١٦) رب المشرقين ورب المغربين (١٧) فبأي آلاء ربكما تكذبان (١٨) مرج البحرين يلتقيان (١٩) بينهما برزخ لا يبغيان (٢٠) فبأي آلاء ربكما تكذبان (٢١) يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان (٢٢) فبأي آلاء ربكما تكذبان (٢٣) وله الجوار المنشآت في البحر كالأعلام (٢٤) فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾ (١) صدق الله العظيم.

فهذه الآيات والآلاء في كتاب الكون [illegible] كتاب الوحي [illegible] علاقات [illegible] أن نحافظ على هذا التوازن [illegible] عندما [illegible] هذه الآلاء [illegible] فهذه النعم [illegible] السلام الإنساني مع [illegible] الوجود [illegible] السلامة له ولآيات هذا الوجود.

(١) سورة الرحمن ١ - ٢٥

بعد

وبعد هذا التعريف، وأصبح المصطلح «إسلامية المعرفة»

وبعد الأسئلة الموجودة لأجلة ... على ... «هذه الإسلامية للمعرفة» في العلوم الإنسانية والاجتماعية دون العلوم الطبيعية، وفي علاقات الإنسان بظواهر ... الوجود»

يستثير جوهر القضية وحقيقة الخلاف بين «إسلامية المعرفة» وبين «لا إسلاميتها» هو الاعتراف بوجود علاقة بين مصدر الوحي وبين مصدر الوجود كمصدرين للمعرفة الإنسانية، أو نفي وجود هذه العلاقة.

وبتعبير آخر: هل هناك سبيل غير الحواس وتجاربها - هو سبيل الوحي - لإدراك وتصور وضبط معارف الإنسان في الوجود الطبيعي والإنساني؟ أم أن «الحواس» و«تجاربها» هي مصدر المعرفة الحقة الوحيد في هذه العلوم، وما عدا ثمراتها من المعارف هو «ميتافيزيقا» و«خيال»؟!

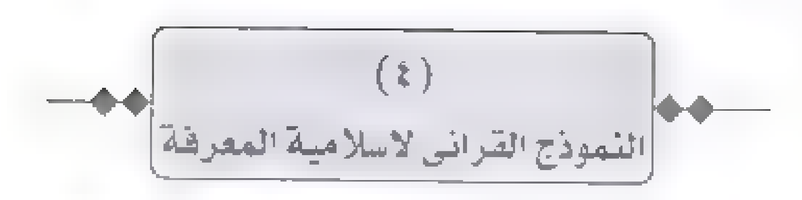
وصياغة أخرى للقضية: لقد أنزل الله - سبحانه وتعالى - على محمد بن عبد الله ﷺ وحيه بالقرآن الكريم، فكان موضوعا للعلوم الشرعية في الحضارة الإسلامية، ثم وجدت وتطورت وبحث المسلمون علومهم الحديثة البشرية «الحضارية»، فهل كان للوحي وعلومه علاقات بعلوم

«الحضارة الغربية وتأثيرات فيها صنعتها مراحل متفاوتة وصنعتها على أنحاء مختلفة بصفة الوحي وضوابط الشرع الإلهي، إذ أن العلاقة مفككة والصلات مقطوعة بين بناء الإيمان الديني وبناء التمدن الحضاري»

إن القائلين بـ«إسلامية المعرفة» يجيبون على هذا السؤال بـ«نعم» لأنهم لا يفصلون في مصادر المعرفة بين كتابي «الوحي» و«الوجود».

بينما الجاحدون لـ«إسلامية المعرفة» يجيبون على هذا السؤال بـ«لا» لأنهم لا يرون للعلوم الحضارية من وحي للعلوم الإنسانية مصدرا سوى الواقع الذي تدركه «الحواس» فلا شيء غير الواقع، ولا سبيل للمعرفة سوى الحواس.

تلك هي القضية.. قضية إسلامية المعرفة.. في حقيقتها وفي جوهرها.



(٤) النموذج القرآنى لإسلامية المعرفة

وكما سبقت إشارتنا، فإن إسلامية المعرفة كمنهج ثقافي ورسالة فكرية، وكمنهج منضبط في دراسة المعرفة الإنسانية، ليست جديدة جدة هذا المصطلح الذي نعبر به عنها، لأنها علم عرفته حضارتنا الإسلامية واعتمدتها وتبنتها كمقابل إسلامي للمعرفة المادية والحسية، معرفة الدهريين والمشركين الذين لم يروا للمعرفة مصدراً سوى الواقع المحسوس، ولم يتصوروا لهذه المعرفة أدوات ووسائل سوى الحواس، فقد عرفت حضارتنا هذا المنهج المتميز منذ ظهور الإسلام.

وشاهدنا على هذه الحقيقة هو كتاب الإسلام الأول القرآن الكريم.

وفي اعتقادي أن بالإمكان، بل إنه لواجب، استخلاص منهج كامل مدعم بالشواهد لإسلامية المعرفة من القرآن الكريم.

ولكن مقام هذه الدراسة لا يسمح بالإطالة في عرض هذا النموذج القرآني لمنهج إسلامية المعرفة، ولذا نكتفي من الإشارات بعدد من الآيات القرآنية التي عرضت لهذه القضية كنماذج لأقسام هذا المنهج، وتبيين مذاهب القرآن في هذا الموضوع.

• [illegible]

[illegible]

[illegible] سوى «العين» = «الحاسة»

[illegible]

• [illegible]

سنين لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون * بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم * وعد الله لا يخلف الله وعده ولكن أكثر الناس لا يعلمون * يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون[1].

عندما تنحصر [illegible] «بالحواس» وحقائق الوجود الواقعة [illegible] العقلية الغربية [illegible] على [illegible] كالكرة الأرضية على سطح المحيط.

لكن [illegible] هو فوق ذلك [illegible] المحسوس [illegible] في كتاب الوحي [illegible] علي [illegible] في [illegible] المحسوس [illegible] «محسوسا» في كتاب «الوجود».

فالوقوف عند [illegible] الطريق الأول [illegible] في العلم والمعرفة [illegible] الوجود [illegible] الدنيوي – وحده.

بينما التصور في المعرفة [illegible] الوحي والوجود [illegible] كليهما [illegible] معرفة لا تقف عند [illegible] الوجود [illegible] ولا تدركها الحواس وحدها [illegible] العقلية الإنسانية [illegible] الغيب [illegible] الآخرة التي [illegible] «الوحي» – نبأ السماء العظيم.

(١) سورة الروم ٧

● وإذ نحن تأملنا قول الله – سبحانه وتعالى –: ﴿أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون (٢٣) وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر وما لهم بذلك من علم إن هم إلا يظنون (٢٤) وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات ما كان حجتهم إلا أن قالوا ائتوا بآبائنا إن كنتم صادقين﴾(١)

فإذا نحن تأملنا هذه الآيات، وجدنا نموذج ذلك الذي عبد الحس والهوى، فلم يتخط ما وراء المادة والواقع المحسوس، ووقف بعقله دون الإلهي الآتي بواسطة الوحي، أي وقف به في إطار العلم الدنيوي وحده، وحال بين سمعه وقلبه وبصره وبين تجاوز الواقع المحسوس.

فإذا جاءته آيات الله، غير المادية، وبراهينه التي لا تقف في البرهنة عند الحواس وحدها، ظل منصرفًا عنها مستمسكًا بالمحسوس وحده كمصدر وحيد للمعرفة وبالحواس فقط كسبل وحيدة للإدراك، ولذلك طلب أن يأتي به بالموتى من آبائه ليرى منهم ويسمع بالبصر والسمع الحسيين بعد البعث والنشور، فهو يريد أن يعرف بالحواس معارف عالم الغيب غير المحسوس!

فمعرفة هؤلاء حسية – دنيوية – لا دينية – غير إسلامية – لا ترقى إلى العلم الذي هو إدراك الشيء على ما هو به وإنما مبلغها أن تقف عند الظاهر الذي لا يغني من الحق

(١) سورة الجاثية: ٢٣ – ٢٥

شيئا في بعض الأحيان ولا يعني من الخلق كل شيء في أحيان أخرى

● وعندما نتدبر قول الله سبحانه وتعالى: ﴿أو كالذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها قال أنى يحيي هذه الله بعد موتها فأماته الله مائة عام ثم بعثه قال كم لبثت قال لبثت يوما أو بعض يوم قال بل لبثت مائة عام فانظر إلى طعامك وشرابك لم يتسنه وانظر إلى حمارك ولنجعلك آية للناس وانظر إلى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحما فلما تبين له قال أعلم أن الله على كل شيء قدير﴾[1]

عندما نتدبر هذه الآيات نعلم أن هذا الذي مر على القرية الخاوية على عروشها لم يدرك إلا ما تحسه الحواس [illegible] من هذه التجربة إلا الواقع المادي المحسوس [illegible] المحسوس [illegible] ليس هو الذي بدأ الخلق على [illegible] مرة أخرى [illegible] الله سبحانه وتعالى [illegible] المحسوس من حسه المادي ووقف عنده [illegible] أعلم أن الله على كل شيء قدير[1]

● وعندما نتدبر قول الله سبحانه وتعالى: ﴿أولم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم (٧٨) قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم الذي جعل لكم من الشجر الأخضر نارا فإذا أنتم منه توقدون أوليس الذي خلق السماوات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم﴾[2]

1 سورة البقرة ٢٥٩ — 2 سورة يس ٧٧ - ٨١

[illegible] هذه الآيات نراها تعرض [illegible] التي لم [illegible]
[illegible] على وجه [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] الحواس [illegible] المحسوس
[illegible] الأجسام التي [illegible]
[illegible] في [illegible]
[illegible]
[illegible] على [illegible]
والموت ليست محسوسة بتركيبة الحواس.

ولكنه وقف في مجال المعرفة وأدواتها عند المحسوس و«الحواس»، لا يتعداهما

● وعندما نفكر في قول الله سبحانه وتعالى: ﴿انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا * وقالوا أئذا كنا عظاما ورفاتا أئنا لمبعوثون خلقا جديدا * قل كونوا حجارة أو حديدا * أو خلقا مما يكبر في صدوركم فسيقولون من يعيدنا قل الذي فطركم أول مرة فسينغضون إليك رءوسهم ويقولون متى هو قل عسى أن يكون قريبا﴾(1)

وكذلك قوله سبحانه: ﴿ذلك جزاؤهم بأنهم كفروا بآياتنا وقالوا أئذا كنا عظاما ورفاتا أئنا لمبعوثون خلقا جديدا * أولم يروا أن الله الذي خلق السماوات والأرض قادر على أن يخلق مثلهم وجعل لهم أجلا لا ريب فيه فأبى الظالمون إلا كفورا﴾(2)

(1) سورة الإسراء ٤٨ - ٥١ (2) سورة الإسراء ٩٨ - ٩٩

عندما نتفكر في هذه الآيات نجد كيف أن الذين لم يشهدوا بالحواس خلق أنفسهم [illegible] حتى [illegible] ﴿[illegible] عضدا﴾(١) فهؤلاء الذين لم يشهدوا بالحواس خلق أنفسهم ينكرون [illegible] لا يستطيعون [illegible] يشهدوا خلق أنفسهم من العدم [illegible] إنهم لم [illegible] عن أنفسهم [illegible] إنهم قد أشركوا ولم [illegible] المعرفة التي يحصلونها بالحواس.

• وعندما نتدبر قول الله سبحانه وتعالى: ﴿وقال الملأ من قومه الذين كفروا وكذبوا بلقاء الآخرة وأترفناهم في الحياة الدنيا ما هذا إلا بشر مثلكم يأكل مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون (٣٣) ولئن أطعتم بشرا مثلكم إنكم إذا لخاسرون (٣٤) أيعدكم أنكم إذا متم وكنتم ترابا وعظاما أنكم مخرجون (٣٥) هيهات هيهات لما توعدون (٣٦) إن هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما نحن بمبعوثين (٣٧) إن هو إلا رجل افترى على الله كذبا وما نحن له بمؤمنين﴾(٢)

عندما نتدبر هذه الآيات نرى كيف أفضى المنهج الحسي المادي بأصحابه إلى الإصرار على الكفر الصريح.

لقد أعلن المترفون من [illegible] الذين [illegible] فكذبوا رسولهم عندما لم يدركوا [illegible] والربوبية، ووقفت [illegible] عند [illegible] هو محسوس وحده [illegible] علم [illegible] ترى الحواس [illegible] بشر [illegible]

(١) سورة الكهف: ٥١.

(٢) سورة المؤمنون: ٣٣ - ٣٨.

[illegible]

[illegible]

[illegible]

مثل «السمع والابصار»

[illegible]

[illegible] ٧٨ – ٨٣

[illegible]

التراب والعظام»[1]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

(١) سورة الصافات ١٤ - ١٧

الذي جعل أصحابه لا يدركون من الآيات ما وراء ما تدركه الحواس، فهم يستبعدون في السخرية من هذه الآيات غير المحسوسة حتى لقد حسبوها لانغلاقهم أدوات الإدراك سحر سحر به الحواس وكذلك أيضا لم يروا في بعث الموتى إلا ما تدركه الحواس من واقع تحول الأجساد إلى تراب وعظام!

وهكذا وعلى هذا النحو وأمثاله عرض القرآن الكريم كثيرا من الأمثال التي ضربها شواهد على قصور المعرفة الحسية وحدها عن أن تدرك ما يجب أن تدركه الإنسان وعجزها عن أن تتصور حقائق عالم الغيب فتؤمن به أو أن تحيط بما في كتاب الوحي ومنها السماء من حقائق لا تدركها الحواس وحدها.

عرض القرآن لهذه الأمثال القيمة لتأكيد المنهج المتكامل في المعرفة ذلك الذي يتكامل بين كتاب الوحي وكتاب الوجود مصدرين للمعرفة الإنسانية ويعتمد كل سبل الإدراك والتصور تحصيلا للمعارف والعلوم على اختلاف مصادرها.

فهو المنهج الذي يقيم العلاقة بين الوحي والوجود بين الشرعي والعلمي منهج إسلامية المعرفة.

وهكذا كان القرآن الكريم وهو كتاب المسلمين الأول والذي خرجت حضارتهم منه وأمتهم من بين دفتيه كان ولا يزال المصدر الأول لصياغة هذا المنهج الإسلامي المتميز في المعرفة

• فهو يطلب منا أن ندرك ونتدبر آيات كتاب الوحي المقروء ﴿أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها﴾(1) والتدبر هنا لا يدركه الإنسان بمجرد الحواس فلا يكفي النظر بالعين ولا سماعه بالاستماع لتحقيق التدبر المطلوب وإنما هو العقل [illegible] من على أبواب الأفق [illegible] ﴿كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولو الألباب﴾(2) وهنا يجب أن يكون [illegible] العقل أداة التدبر والتذكر في آيات هذا الكتاب الكريم.

• وهو -القرآن الكريم- يطلب منا كذلك النظر والتفكر في آيات الكتاب الكوني المنظور ﴿أولم يروا كيف يبدئ الله الخلق ثم يعيده إن ذلك على الله يسير * قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشئ النشأة الآخرة إن الله على كل شيء قدير﴾(3) ﴿إن الله فالق الحب والنوى يخرج الحي من الميت ومخرج الميت من الحي ذلكم الله فأنى تؤفكون * فالق الإصباح وجعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا ذلك تقدير العزيز العليم * وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون * وهو الذي أنشأكم من نفس واحدة فمستقر ومستودع قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون * وهو الذي أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شيء فأخرجنا منه خضرا نخرج منه حبا متراكبا ومن النخل من طلعها قنوان دانية وجنات من أعناب والزيتون والرمان مشتبها وغير متشابه انظروا إلى ثمره إذا أثمر وينعه إن في ذلكم لآيات لقوم يؤمنون﴾(4) فالذين يذكرون الله قياما وقعودا

---

(1) سورة محمد ٢٤
(2) سورة ص ٢٩
(3) سورة العنكبوت ١٩، ٢٠
(4) سورة الأنعام ٩٥ - ٩٩

وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار﴾[1] ﴿أولم يتفكروا في أنفسهم ما خلق الله السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق وأجل مسمى وإن كثيرا من الناس بلقاء ربهم لكافرون﴾[2] ﴿وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون﴾[3]

● ونستنتج من القرآن الكريم أن كلا من هذين المصدرين للمعرفة يحتاج إلى كسبهما [illegible] النبي [illegible] وتدبير إلهي

فإذا كان القرآن الكريم — كتاب الوحي — هو البلاغ الإلهي وإذا كانت السنة النبوية الثابتة الصحيحة هي البيان النبوي لهذا البلاغ الإلهي فنحن قد عرفنا ونتلقى هذا المصدر للمعرفة من الرسول والرسالة المعصومة

على حين نحن نتلقى علوم الكون والإنسان من الحكمة التي هي وفق التعريف اللغوي لها الإصابة في غير النبوة[4] ووفق المعنى اللغوي لها معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم»[5]

فنحن نتلقى من الرسول ﷺ كتاب الوحي ونستخلص بالحكمة علوم الكون والقرآن يعلمنا أن كلا منهما

---

(1) سورة آل عمران 191 (2) سورة الروم 8

(3) سورة النحل 44

(4) الحكمة: الإصابة في غير النبوة [illegible]

(5) ابن منظور [لسان العرب] [illegible]

«الكتاب» و «الحكمة» من عند الله مصدران للمعرفة الإنسانية وجناحان لمنهج واحد في استخلاص واستنباط وإدراك وتصور المعارف والعلوم ﴿كما أرسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون﴾(1) ﴿واذكروا نعمة الله عليكم وما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به واتقوا الله واعلموا أن الله بكل شيء عليم﴾(2).

[illegible] اعتماد [illegible] الوحي [illegible] مع كتاب الوجود [illegible] مصدرا للمعرفة لا [illegible] عند إضافة معارف [illegible] إلى «معارف عالم الشهادة» التي تستمد من كتاب الوجود.

وإنما نضيف هذا الموقف إلى المعارف الإنسانية عن عالم الشهادة «إضافة كبيرة وعظيمة مصدرها كتاب الوحي» أيضا فكتاب الوحي [illegible] عالم الغيب [illegible] السنن والقوانين [illegible] بالإنسان.

الناظر في كتاب الوجود

وإذا كانت السنن الخارقة للعادة [illegible] وهي خارقة «للعادة – المعتادة» وليست خارقة للقوانين المعقولة [illegible] سبحانه وتعالى [illegible] الذين اصطفاهم من الأنبياء والرسل لإقامة الحجة وتمييز الحق عن الباطل فإن السنن الجارية هي القوانين التي وضعها الله سبحانه وتعالى في الوجود الطبيعي والإنساني [illegible] لنا أن نكتشفها [illegible]

(1) سورة البقرة ١٥١

(2) سورة البقرة ٢٣١

عندئذ ورد في الكتاب الوحي الصحيح ولا شك فيه وعليه فكل ما هو المعرفة [illegible] إلى [illegible] [illegible] شرعية الفلسفة [illegible] في عالمي الطبيعة والإنسان.

وإذا كنا مضطرين للتطرق إلى بعض من هذه السنن التي عرض لها القرآن الكريم في عدد من المواضع [illegible] فإننا نشير إلى بعض من هذه السنن [illegible] في الاجتماع الإنساني ككتاب مسطور [illegible] صورة المعرفة القرآنية في عالم الشهادة، وكتاب الوجود.

● فمن القرآن الكريم نتعلم سنة الانتقال الدائم بين البدو والترحال لأنه بيئة وبين الحاضرة التي تمثل طور الاستقرار للإنسان، الأمر الذي يكشف لنا عن البعد الحضاري للتدبير والتدبير [illegible] الغربة [illegible] مكان القرار والاستقرار [illegible] إمكانات البناء والتراكم في المعارف البشرية التي تجسد تطبيقاتها في [illegible] وهكذا حياة الحضارة على النحو الذي لا يتأتى في البادية بسبب الترحال.

(وهذا كتاب أنزلناه مبارك مصدق الذي بين يديه ولتنذر أم القرى ومن حولها والذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون به وهم على صلاتهم يحافظون)(1)

فالرسول [illegible] بعث [illegible] البلد في أم القرى، وكانت هجرته إلى المدينة [illegible] وقد مثلت الهجرة في عهد النبوة انتقالا عظيما من [illegible] الحضر [illegible] إلى الحضر

(1) سورة الأنعام ٩٢

وسيستمر الحصار بالإبادة حتى لقد اعتبرت [illegible]
العربية [illegible] عن هذه الحضارة التي انحرفت عن الإسلام

وكانت هذه السنة [illegible]
[illegible] الحضاري [illegible]

﴿وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في أمها رسولا يتلو عليهم آياتنا وما كنا مهلكي القرى إلا وأهلها ظالمون﴾(2)

فهي سنة من سنن الاجتماع الإنساني نستنبطها من القرآن الكريم

● ومن القرآن الكريم نتعلم سنة الارتباط [illegible] بالنتيجة [illegible] وسنن الهلاك للاجتماع الإنساني والحضارات

﴿وقالوا إن نتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا أولم نمكن لهم حرما آمنا يجبى إليه ثمرات كل شيء رزقا من لدنا ولكن أكثرهم لا يعلمون ۝ وكم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم إلا قليلا وكنا نحن الوارثين ۝ وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في أمها رسولا يتلو عليهم آياتنا وما كنا مهلكي القرى إلا وأهلها ظالمون﴾(3)

﴿وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا﴾(4).

(1) [illegible]
(2) سورة القصص 59 (3) سورة القصص 57 - 59
(4) سورة الإسراء 16

﴿وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ ۞ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾(1) ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾(2)

[illegible] متعلمها من القرآن الكريم

● [illegible] الطغيان

﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغَى ۞ أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى﴾(3)

[illegible] مفضية حتما إلى الطغيان.

● [illegible] عوالم وأمم المخلوقات(4)

(1) سورة هود ١١٦، ١١٧
(2) سورة الشورى ٢٧
(3) سورة العلق ٦، ٧
(4) سورة الأنبياء ٢٢

فعبر تعددية وتنوع ظواهر الخلق في عالم الطبيعة هناك

تعددية وتنوع في عالم الاجتماع الإنساني

تعددية وتنوع الألسن والألوان [illegible] في إطار وحدة الإنسانية ووحدة الخلق

وتعدد الشرائع [illegible] في إطار [illegible] الإلهي الواحد

وتعددية وتنوع المذاهب [illegible] في إطار وحدة الأصول في العقيدة والشريعة..

وتعددية وتنوع الأعراف والثقافات في إطار الأمة التي تقوم على [illegible] الجامعة

﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير﴾[1]

﴿ومن آياته خلق السماوات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن في ذلك لآيات للعالمين﴾[2]

﴿وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليبلوكم في ما آتاكم فاستبقوا الخيرات إلى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون﴾[3]

(١) سورة الحجرات: ١٣ (٢) سورة الروم: ٢٢

(٣) سورة المائدة: ٤٨

﴿ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين * إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم وتمت كلمة ربك لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين﴾(١)

● و[illegible] هو الذي [illegible] على الفرقة [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] والساحة» منهم

و[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] استبداد [illegible] [illegible] الأطراف [illegible] الذي [illegible] القرآن الكريم [illegible] الذي هو [illegible] اجتماعي - وليس الصراع الاجتماعي [illegible] وحكمه وسببه [illegible] [illegible] ظاهرة من ظواهر الاجتماع [illegible] في [illegible] [illegible] من الفرقة.

﴿فهزموهم بإذن الله وقتل داود جالوت وآتاه الله الملك والحكمة وعلمه مما يشاء ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ولكن الله ذو فضل على العالمين﴾(٢).

﴿أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير * الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ولولا دفع الله الناس

(١) سورة هود ١١٨، ١١٩.
(٢) سورة البقرة ٢٥١.

بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز﴾[1]

﴿ادفع بالتي هي أحسن السيئة نحن أعلم بما يصفون﴾[2]

﴿ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم﴾[3]

[illegible] سنن الاجتماع الإنساني [illegible] كتاب الوحي [illegible] القرآن الكريم [illegible] مصدرا [illegible] في عالم الشهادة يقوم دليلا على [illegible] عن عالم الغيب الذي لا تدركه تجارب الحواس.

• • •

وعلى درب [illegible] القرآن الكريم [illegible] النبوية – سنة الرسول ﷺ.

فكما كان الوحي مصدرا لمعرفة العديد من السنن [illegible] الاجتماع الإنساني، ومعارف عالم الشهادة [illegible] كانت السنة النبوية التي هي [illegible] النبوي [illegible] فهي الأخرى تسهم بمعرفة [illegible] من سنن هذا الاجتماع.

● فالقرآن [illegible] وسوكة(?) [illegible] بالنسبة للرسول [illegible] الرسول [illegible] [illegible]

(1) سورة الحج ٣٩، ٤٠
(2) سورة المؤمنون ٩٦
(3) سورة فصلت ٣٤

رسالته في مواجهة الخصوم المنكرين هي سنة من سنن الاجتماع الديني تنسحب إلى سنن الاجتماع السياسي نتعلمها من سنة رسول الله ﷺ

ففي تفسير قوله والبيان الرسالي لقول الله سبحانه وتعالى عن لوط وقومه: «قال لو أن لي بكم قوة أو آوي إلى ركن شديد»(1) قال الرسول ﷺ: «قد كان (لوط) يأوي إلى ركن شديد (الملائكة) ولكنه (أي لوط) عنى عشيرته فما بعث الله عز وجل بعده نبيا إلا بعثه في ثروة قومه». قال أبو عمر: «فما بعث الله عز وجل نبيا بعده إلا في منعة من قومه»(2)

• ودور العصبية القبلية في الحماية المكية من الدعوة الإسلامية ... في الانتصار للدعوة، حماية النبي حتى وكثير من أهل تلك العصبية على الشرك مثل أبي طالب والعباس بن عبد المطلب وحلفاء المؤمنين أثناء المقاطعة الاقتصادية والاجتماعية في شعب بني هاشم شاهد على هذه السنة من سنن الله في الدعوات والرسالات

• وفترات إقامة فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهي فريضة جماعية كفائية تعني عموم المشاركة الجماعية من المسلمين في شئون الاجتماع الإسلامي فترات إقامة هذه الفريضة تتقدم الاجتماع وازدهاره، وفترات إهمالها والنكوص

(1) سورة هود: 80

(2) رواه الإمام أحمد

عنها بتدهور الاجتماع وهلاك نظمه وسيادة المظالم والفوضى فيه. سنة من سنن الله في هذا الاجتماع تحدث عنها البيان النبوي في حديث رسول الله ﷺ الذي يقول فيه: «لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ولتأخذن على يد الظالم ولتأطرنه(١) على الحق أطرا، أو ليضربن الله قلوب بعضكم ببعض ثم تدعون فلا يستجاب لكم»(٢).

فمقاومة الجور والظلم هي التي تحفظ على الاجتماع الإنساني معنى الحق بحيث: «إذا رأيت أمتي تهاب الظالم أن تقول له: إنك أنت ظالم فقد تودع منهم»(٣).

• وهذه السنة وثيقة الصلة من خصوصيتها بسنة أخرى نتعلمها من حديث رسول الله ﷺ التي تسير في قانون تعاقب العدل والجور والخير والشر في الاجتماع الإنساني، وصلة هذا التعاقب بفقه فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

يتحدث الرسول ﷺ عن سنة وقانون تعاقب العدل والجور على الاجتماع الإنساني فيقول: «لا يلبث الجور بعدي إلا قليلا حتى يطلع، فكلما طلع من الجور شيء ذهب من العدل مثله، حتى يولد في الجور من لا يعرف غيره، ثم يأتي الله تبارك وتعالى بالعدل، فكلما جاء من العدل شيء ذهب من الجور مثله، حتى يولد في العدل من لا يعرف غيره»(٤).

(١) أي تحملونه على الحق قسرا.

(٢) رواه الترمذي وأبو داود وابن ماجه والإمام أحمد.

(٣) رواه الإمام أحمد. (٤) رواه الإمام أحمد.

وكذلك الذي ... الخير والشر حذيفة بن اليمان رضي الله عنه سأل رسول الله ﷺ: «يا رسول الله أيكون بعد هذا الخير الذي أعطيتنا شر كما كان قبله؟»

قال: «نعم».

فسأله حذيفة: «فبم العصمة؟»

- قال: «بالسيف».(١)

● وهذا إشارة إلى صفة الحل ... [illegible] من حديث رسول الله ﷺ في ... القوة ... الإنساني ... القتال والجهاد والاستشهاد حتى وإن قل عدد الأمة ... الوهن وإذا ... عن القتال والجهاد والاستشهاد حتى وإن كثرت الأعداد ... رسول الله ﷺ ... عن هذه ... في حديث ... [illegible]

«يوشك أن تداعى عليكم الأمم من كل أفق كما تداعى الأكلة على قصعتها».

فقالوا: «يا رسول الله أمن قلة بنا يومئذ؟»

قال: «أنتم يومئذ كثير ولكن تكونون غثاء كغثاء السيل، ينتزع المهابة من قلوب عدوكم ويجعل في قلوبكم الوهن».

- فقالوا: «وما الوهن؟»

قال: «حب الحياة وكراهية الموت».(٢)

(١) رواه أبو داود والإمام أحمد

(٢) رواه أبو داود والإمام أحمد

● وإلى جانب من هذه الحقيقة تشير الأحاديث النبوية التي تتحدث عن سنة تنزل المحن بالأمة وارتباط النكوص عنه بالذل، فالركون [illegible] لا يحميه [illegible] إلى ضياع [illegible] من الاجتماع الإنساني «إذا تبايعتم بالعينة وأخذتم أذناب البقر ورضيتم بالزرع وتركتم الجهاد سلط الله عليكم ذلاً لا ينزعه عنكم حتى ترجعوا إلى دينكم»(١)

[illegible] والاستمرار قائم [illegible] والجهاد [illegible] (٢) [illegible] هذه الحياة [illegible]

وإلى هذه السنة يشير الحديث النبوي الذي يقول فيه ﷺ «لا يزال أهل الغرب أي أهل الشدة والجلد ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة»(٣)

[illegible] هذه الأمة في يوم [illegible] الحقيقة [illegible] على [illegible] الإسلام حتى يوم الدين. فكانت [illegible] من [illegible] الأمة على أمر الله «لا تزال عصابة من أمتي يقاتلون على أمر الله قاهرين لعدوهم لا يضرهم من خالفهم حتى تأتيهم الساعة وهم على ذلك»(٤)

(١) [illegible]

(٢) [illegible]

(٣، ٤) رواه مسلم

وهذه الجماعة - الأمة - هي التي عصمها الله من الاجتماع والإجماع على الضلال "إن أمتي لا تجتمع على ضلالة"(1).

فحفظ الله - سبحانه وتعالى - وعده "إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون"(2) يقتضي دوام الإسلام، أي دوام أمته، وذلك لا يتأتى دون دوام جهادها مع أعداء الإسلام والمسلمين "لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود فيقتلهم المسلمون حتى يختبئ اليهودي وراء الحجر أو الشجر فيقول الحجر أو الشجر يا مسلم يا عبد الله هذا يهودي خلفي فتعال فاقتله"(3).

هكذا - ومن خلال هذه الإشارات إلى عدد من السنن والقوانين التي جاءت في القرآن الكريم، وفي الحديث النبوي الشريف - رأينا كيف كان كتاب الوحي - ببلاغة القرآن وبيانه النبوي - مصدرًا للمعرفة في عالم الشهادة، والاجتماع الإنساني إلى جانب كونه المصدر لمعارف الإنسان عن عالم الغيب الذي لا تستقل بإدراكه العقول ولا تحيط بمعرفته الحس والتجريب.

وأخيرًا، فلماذا لا نتأمل قول الله - سبحانه وتعالى -: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾(4) ولا نرى وندرك - على وجه اليقين - كيف جعل

(1) رواه ابن ماجه (2) سورة الحجر: 9
(3) رواه البخاري ومسلم والترمذي والإمام أحمد
(4) سورة الإسراء: 36

القرآن الكريم سبل العلم والمعرفة متعدية لتشمل بجانب الحس
السمع ... لتحصر [illegible] الحواس وحدها هي سبل المعرفة
وإنما يقول [illegible] عنه جوابا [illegible] عن العلم
والمعرفة [مسئولا]

[illegible] في سلامة المعرفة الإسلامية القرآنية في المعرفة وعلى
هذا النحو واجه به القرآن الكريم [illegible] مستوى [illegible]
الحسي في المعرفة [illegible] في دوائر المشركين
والدهريين

وعلى هذا النحو قدم «كتاب الوحي» [illegible] في هذا المنهج
مصدرا للمعرفة في عالم الغيب والشهادة جميعا [illegible]
معرفة وكشفت سننه عن كثير من السنن الجارية في آيات
كتاب الوجود [illegible] منها ما كان خاصا بعلوم الطبيعة
التجريبية و[illegible] الظواهر وعلوم الاجتماع الإنساني

فهو يميز [illegible] صفات تحققها إسلامية المعرفة في هذه
الميادين

(٥)
وبعد الفتوحات الاسلامية

[illegible] الهجري الأول حتى [illegible] الإسلامية [illegible] الدولة الإسلامية [illegible] [illegible] كل الديانات السماوية [illegible] [illegible] اللاهوتية [illegible] والفلسفية [illegible] في دولة الإسلام [illegible] الدولة [illegible] [illegible] [illegible] إلى إقامة [illegible] لابد أن [illegible] المغلقة [illegible] [illegible] [illegible] مجال من الأحوال.

وفي خضم [illegible] الفكري الذي شاع وازدهر بين الإسلام وبين [illegible] والنحل والفلسفات غير الإسلامية، [illegible]

(١) [illegible] عبدالمجيد عابدين، إسماعيل الصحراوي - طبعة [illegible] إسلامية في القرن الرابع الهجري] المجلد الأول ص ٧٥، ٨٤، ١٠٠ ترجمة د. محمد عبدالهادي أبو ريدة - طبعة بيروت سنة ١٩٦٧م

(٢) سورة البقرة ٢٥٦

[illegible] الاسلامية علوم [illegible]

[illegible] الفكري و [illegible] الذهني [illegible]

[illegible] الإسلامية [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] الآخرين [illegible]

[illegible] النبوة [illegible] على

عهد الرسول ﷺ

ولقد [illegible] المسلمين [illegible] واجهوا خلال هذا [illegible]

الفكري [illegible] المعرفة عبر [illegible] الإسلامية [illegible]

معرفتنا الإسلامية واجهوا

- [illegible]

- والعرفاني [illegible]

- وواجهوا [illegible]

الاسلام [illegible] الاسلام و المسلمين

وأمام هذه المقالات غير الإسلامية وفي مواجهتها وفي خضم التدافع الفكري معها شهدت حضارتنا فن التأليف في [مقالات الإسلاميين]، وراحت - ونحن نراجع عناوين موقف سلفنا في تلك القرون - تلك الثروة الخصبة من المؤلفات التي تخصصت في الرد على مقالات أهل الملل والديانات والمذاهب والنحل والفلسفات.

وعلى سبيل المثال:

● فلدى أول أعلام المعتزلة أبو حذيفة واصل بن عطاء [٨٠ - ١٣١هـ = ٦٩٩ - ٧٤٨م] يقولون: إنه لم يبلغ الثلاثين من عمره حتى كان قد فرغ من الرد على كل المخالفين، ومن عناوين الكتب التي ألفها [كتاب الألف مسألة] وخصصها في الرد على مذهب المانوية الفارسية.

ومما تذكره كتب هذا الفن عن [مقالات الإسلاميين] من وقائع التدافع الفكري بين الإسلامية المعرفية التي بلورها الإسلام وبين مذهب الفلسفات الوضعية غير المؤمنة ... على «المعرفة الحسية» تلك الحوارات التي دارت بين علماء الإسلام وبين علماء فرقة «السمنية» وهي مذهب من مذاهب الديانات الوضعية الهندية تنكر أهلها الوحي والنبوة والرسالة، ويقولون: لا طريق للعلم سوى الحس[1].

(١) التهانوي [كشاف اصطلاحات الفنون] [illegible] طبعة الهند سنة ١٨٦٢م.

[illegible] المعرفة [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

التي يصدق عليها هذا الاصطلاح[1]

[illegible]

[illegible] الإسلامية [illegible]

[illegible] ١٣٨ [illegible]

[illegible] المعرفة [illegible] الإسلام في المعرفة

[illegible]

[illegible] الإسلام في المعرفة [illegible]

[illegible]

[illegible] الإسلام [illegible]

[illegible]

[illegible]

[مقالات الإسلاميين [illegible] ٣١٩هـ [illegible] ٩٣١م]

[illegible]

[illegible]

هل يخرج المعروف عن المشاعر الخمسة

- فقال: لا

[illegible]

هذه المشاعر[2]

– قال لا.

فلو قال كان المعروف لا يخرج عن ذلك وليس مجهولاً منها، فقد دخل في المجهول

فسكت جهم

[illegible]

على هذا النحو [illegible] على هذه [illegible] فهو يقول

[illegible]

إن المعروف لا يخرج عن المشاعر الخمسة [illegible] يقينه.»

هنا في هذا الجزء من هذا النص يقدم واصل بن عطاء لاصحابه [illegible] معرفة فهو لا ينكر معرفة الحسية ولكنه لا يقتصر عليها وانما يضيف [illegible] [illegible] الحواس [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] والعلوم غير [illegible] والتي لا تحصل [illegible] الحس والحواس

والحدس لغة هو الظن والتخمين واصطلاحا هو [illegible] يلزم من العلم به العلم بشيء آخر هو الذي ينقل الذهن الى التسليم بحقيقة معينة كانت موضع شك من قبل وقد يكون مصدر الحدس امارة او ظاهرة معينة او شهادة شاهد او ضرب من الاستدلال المنطقي(1).

فالخبر ليس فقط [illegible] التي تدرك بالمحسوس بل قد يكون لازم العلم بالمحسوس ولا يدل عليه بشكل مباشر كما في الادراك بالحواس ومثاله ان يلزم من العلم بالمحسوس [illegible] وهو محسوس [illegible] [illegible] وهو معلوم غير محسوس، لا تدركه الحواس

[illegible] واصل بن عطاء [illegible] الى الحواس الخمسة [illegible] [illegible] المعرفة الحسية [illegible] المعرفة [illegible] المحسوس [illegible] الادراك [illegible] الحواس الخمسة.

(1) [illegible] المعجم الفلسفي [illegible] القاهرة

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] تقول

[illegible]

به على السمية، فقالوا له

[illegible]

عند المحسوس المدرك بالحواس

[illegible]

ص ٢٢٦ – تحقيق فؤاد سيد – طبعة تونس سنة ١٩٧٢ م

وقد كان … الاسلامية قد … الترجمة بعلوم …

… علوم … اى علوم … التى هى …

… عام … مشروع الامير الاموى …

… ٩٠هـ ٧٠٨م] … عرفت …

هذه العلوم …

الثالث الهجرى اصبحت الفلسفة … على العقل

العربى … الكندى يعقوب بن … [٢٦٠هـ ٨٧٣م

… [٣٨٤ ٣٢٢ ق م] حاضر فى … العربية

الاسلامية … المعلم الأول …

العربى …

… الاندلسى ولم يكن

فى الاسلام فيلسوف … فى …

…

… فى المعرفة …

… فى ساحة الفكر الاسلامى …

جديد … الاسلاميين

… الاسلامية

مقالات الاسلاميين …

[مقالات الاسلاميين] …

الاشعرى … [٢٦٠ ٣٢٤هـ ٨٧٤ ٩٧١م] …

… العامرى ابو الحسن محمد بن يوسف

…

طبعة القاهرة سنة ١٩٤٥ م

[٣٨١هـ - ٩٩٢م] [الإعلام بمناقب الإسلام] والذي يعد أول أثر فكري عربي يعقد فيه مقارنة بين الأديان – الإسلام واليهودية – والنصرانية والمجوسية والصابئة والوثنية – وهو الكتاب الذي أجاب فيه عن سؤال: لماذا فضل الإسلام على غيره من الأديان؟»

ثم سيتتابع هذا المنهج الفكري بين أعلام الإسلام في معرفة ونقد هذه المعرفة لدى [illegible] عند الإسلاميين [illegible] الأعلام الفكريين [illegible] في العربية والتواريخ و[illegible] الآثار [الفصل في الملل والأهواء والنحل] لابن حزم الأندلسي [٣٨٤-٤٥٦هـ / ٩٩٤-١٠٦٤م] و[الملل والنحل] للشهرستاني محمد بن عبد الكريم [٤٧٩-٥٤٨هـ / ١٠٨٦-١١٥٣م] [illegible] أبي حامد الغزالي [٤٥٠-٥٠٥هـ / ١٠٥٨-١١١١م] [illegible] المسيح [illegible] [illegible] [illegible] و[illegible] [illegible] [المستقيم] و[illegible] [illegible] [illegible] الإسلام ابن تيمية أحمد بن عبد الحليم [٦٦١-٧٢٨هـ / ١٢٦٣-١٣٢٨م] [illegible]

جهة [الجمع بين العقل والنقل] و[illegible] [illegible]
[illegible] مع [illegible] [بعض [illegible]] [illegible]
بناء منطق إسلامي للعقيدة [illegible]
الإسلام [illegible]
[illegible] على ابن عربي [illegible]
[illegible]

وفي [illegible]
[illegible] المعرفة [illegible]
الإسلامية [illegible]
ابن [illegible] [ت [illegible] ٨٠٠ هـ [illegible] ١٣٠٢ -
١٤٣٦م [illegible]
[illegible] المعرفة [illegible]
[illegible] المعرفة [illegible]
الحسية غير الإسلامية

وهكذا [illegible] الإسلامية [illegible]
المعرفة الحسية [illegible]
[illegible]
[illegible] المعرفة [illegible]
[illegible] الفكر [illegible]
مع [illegible] الإسلاميين

لقد [illegible] الإسلامي [illegible] المعرفة [illegible]
التدافع الفكري عبر تلك القرون

(٦)
والبديل للوضعية الغربية الحديثة

عندما حدث [illegible] الإسلامية فى طور التراجع والجمود [illegible] الحديث [1] [illegible] لحق [illegible] العقل الإسلامي فى مجال [illegible] تصادف [illegible] التراجع مع الاحياء والنهضة للحضارة الغربية فى أوربا

ولقد قدمت النهضة الغربية الحديثة فى مناهج المعرفة ونظرياتها [illegible] ونقض تلك المناهج التى سادت فى تلك الحضارة [illegible] عصورها الوسطى والمظلمة

كانت الكنيسة الكاثوليكية [illegible] هيمنتها على الحضارة الغربية سواء فى ظل القيصرية [illegible] التى هيمنت فيها الكنيسة على السلطة الزمنية أو فى ظل [illegible] القيصرية عندما أصبح [illegible] قاصرة، أيضا كانت هذه الكنيسة قد جعلت [illegible] هو مصدر المعرفة الوحيد [illegible] المعرفة وثمنها [illegible] قدسية [illegible] وثباته [illegible] الواقع عن أن يكون المصدر الثاني للمعرفة [illegible] عن ثمرات معرفة هذا

(1) [illegible] الى [illegible] الإسلامية [illegible] ص ١٨ – ١٣٨ طبعة القاهرة سنة ١٩٩٠ م

«الواقع». ومن هنا كان «التحريم» للمكتشفات الحديثة والحرمان الديني لمن يطلبون المعرفة خارج اللاهوت.

لقد جعلت الكنيسة من المعرفة شأنا سماويا خالصا لا مكان فيه للواقع وأدوات إدراكه وتصوره، فجاءت النهضة الغربية الحديثة كرد فعل عنيف ومضاد لهذا الموقف الكنسي، لتجعل من «الواقع المحسوس» المصدر الوحيد للمعرفة، وتجعل من التجربة الحسية، المراقبة المخبرية بأنواعها، السبيل الوحيد لتحصيل المعارف والعلوم.

لقد فتح هذا النهج للنهضة الغربية الحديثة صفحة جديدة للمنهج المعرفة الحسية الذي عرفه تاريخ الفكر البشري لدى أصحاب المدرسة الوضعية - والذي أشرنا إلى التسمية الموجزة له - بل لقد تصاعد رد الفعل هذا بتيارات الوضعية الغربية إلى حد الزعم بأن «الدين وضع بشري»، وليس وضعا إلهيا، وذلك عندما أنكر هذا الوضعيون «الوحي» كمصدر من مصادر المعرفة الحقيقية، واعتبرته في أحسن الحالات وهما وأساطير اعتبرته ميتافيزيقا وخيالات لا تعدو أن تكون تصورات لمرحلة من مراحل طفولة وسذاجة العقل الإنساني، فغير جدير أن تكون «معرفة» بالمعنى الدقيق لهذا الاصطلاح!

لقد قال الوضعيون الغربيون: «إن العقل الإنساني قد مر بحالات ثلاث: حالة لاهوتية، وحالة ميتافيزيقية، وحالة

(٦)

والبديل للوضعية الغربية الحديثة

عندما حدث [illegible] حضارتنا الإسلامية في طور التراجع والجمود [illegible] مقام الاجتهاد [1] [illegible] [illegible] العقل الإسلامي في مجال [illegible] والتقليد [illegible] التراجع مع الإحياء والنهضة للحضارة الغربية في أوربا

ولقد قامت النهضة الغربية الحديثة في فلسفتها المعرفية ونظريتها [illegible] عميق [illegible] تلك المذاهب التي سادت في تلك الحضارة [illegible] عصورها الوسطى والمظلمة

كانت الكنيسة الكاثوليكية إبان هيمنتها على الحضارة الغربية سواء في ظل الثيوقراطية البابوية التي هيمنت فيها الكنيسة على السلطة الزمنية أو في ظل البابوية القيصرية عندما أصبح البابوات قياصرة [illegible] كانت هذه الكنيسة قد جعلت اللاهوت هو مصدر المعرفة الوحيد فقدست المعرفة ونسبتها [illegible] عندما جعلت بها قداسة الدين وثباته [illegible] الواقع عن أن يكون المصدر الثاني للمعرفة [illegible] عن ثمرات معرفة هذا

[1] انظر [illegible] النهضة الإسلامية [illegible] ومصادره – ص ١٨ – ١٣٨ – طبعة القاهرة سنة ١٩٩٠م

«الواقع»، ومن هنا كان «التحريم» للمكتشفات الجديدة و«الحرمان الديني» لمن يطلبون المعرفة خارج اللاهوت.

لقد جعلت الكنيسة من «المعرفة» شأنًا سماويًا خالصًا، لا مكان فيه للواقع ودون إدراكه وتصوره. فجاءت النهضة الغربية الحديثة كرد فعل عنيف ومضاد لهذا الموقف الكنسي لتجعل من «الواقع المحسوس» المصدر الوحيد للمعرفة وتجعل من التجربة الحسية المذهب التجريبية الوسائل الوحيدة لتحصيل المعارف والعلوم.

لقد فتحت هذه النهضة الغربية الحديثة صفحة جديدة لمنهج المعرفة الحسية الذي عرفه تاريخ الفكر البشري لدى أصحاب الديانات الوضعية - والذي أشرنا إلى «السمنية» نموذجا له. بل لقد تصاعد رد الفعل هذا بتيارات الوضعية الغربية إلى حد الزعم بأن الدين وضع بشري» وليس وضعا إلهيا. وذلك عندما أنكرت هذه الوضعية الوحي كمصدر من مصادر المعرفة الحقيقية واعتبرته في أحسن الحالات وهمًا والتفافًا استعماريًا ميتافيزيقيا وحالات أن خارج أن تكون تصورات لمرحلة من مراحل طفولة وسذاجة العقل الإنساني، فغير جائز أن تكون «معرفة» بالمعنى الدقيق لهذا الاصطلاح[1]

لقد قال الوضعيون الغربيون: إن العقل الإنساني قد مر بحالات ثلاث: حالة لاهوتية، وحالة ميتافيزيقية وحالة

وضعية»، هي تلك التي عدت «الواقع» فيها المصدر الوحيد للمعرفة الحقة - فالحق بطرقهم، هو ثمرة التجربة وحدها[1]

وكما قال «السمنية» القدماء: إن ما عدا «المعروف بالحواس» هو مجهول» قال أبو المذهب الوضعي أوجست كونت [1798 - 1857م]: إن ما عدا «الواقع» المحسوس هو «وهم» من الأوهام، «والفكر الإنساني لا يدرك سوى الظواهر الواقعية المحسوسة وما بينها من علاقات أو قوانين، وإن المثل الأعلى لليقين يتحقق في العلوم التجريبية. فالتجربة هي مصدر المعرفة الحقة الوحيد ومن ثم فإنه يجب العدول عن كل بحث في العلل والغايات وفي المبادئ الأولية. فكل المعرفة مستمدة من الحس والتجربة المباشرة، وليس من الفطرة أو المصدر العقلي والنظري والاستنباطي»[2] أما مصدر الوحي، فقد اعتبرته الوضعية إفرازا بشريا تلاءم مع مرحلة الطفولة التي مر بها العقل البشري قبل أن يصل إلى الوضعية التجريبية، عبر الميتافيزيقا»

ولقد شابهت هذه الوضعية الغربية الحديثة، في منهجها هذا في المعرفة، أسلافها القدماء من أبناء الديانات الشرقية الوضعية مثل «السمنية» التي أشرنا إليها، عندما سارت على درب «جحود الغيب بالغيب»، فقالت بـ «الدين الوضعي» فكتب أوجست كونت كتابه [تعاليم الدين الوضعي] سنة 1852م

(1) انظر: [المعجم الفلسفي] مادة «المذهب الوضعي». تأليف: مراد وهبة ويوسف كرم، ويوسف شلالة.
(2) المرجع السابق. وانظر كذلك مادة «تجريبي» في [المعجم الفلسفي] وضع مجمع اللغة العربية. القاهرة.

وفي هذا «الدين الوضعي» جعل هذا «المتنبي الوضعي الجديد»:

- العبادة للكائن الأعظم - الذي رمز له بصورة الأنثى - في معابد تحتوي على تماثيل نصفية لمن قدموا خدمات إلى الإنسانية!
- وجعل لهذا الدين الوضعي «تقويما وضعيا» سميت فيه شهوره بأسماء موسى وأرشميدس وفردريك الثاني وغيرهم من أمثالهم!
- أما أعياد هذا الدين، فهي احتفالات تخصص لتمجيد من جعلهم أوجست كونت في هؤلاء العظماء الذين تقام تذكارات احتفالا بهم أصدقاءه، الذين ساعدوه في محنته أو سعوا لأجله في منصب الأستاذية بمدرسة الفنون التطبيقية!
- أما روحانيو هذا الدين الوضعي، فهم العلماء التجريبيون بدلا من رجال اللاهوت!»[1]

فهي إذن «الردة العنيفة» و«رد الفعل العنيف» على الموقف الكنسي والمذهب اللاهوتي في مصدر المعرفة وسبل تحصيلها. لقد جعلت الكنيسة المعرفة سبيلها سماويا خالصا لا علاقة له «بالواقع». فجاءت الوضعية لتجعلها سبيلها أرضيا «واقعيا» خالصا لا علاقة له بالوحي ولا بنبأ السماء!

(١) انظر (الموسوعة الفلسفية المختصرة) ص ٢٦٧ - إشراف ومراجعة د. زكي نجيب محمود - طبعة القاهرة سنة ١٩٦٣م

والأمر الذي يؤكد هذه الحقيقة هو ما ذهب إليه أبو الوضعية الغربية [illegible] فيلسوف الوضعي الحديث في تقسيمه لمراحل تطور المعارف والعلوم على [illegible] مراحل ثلاث

١- المرحلة اللاهوتية وهي مرحلة الحكم الديني [illegible] التي تسلطت فيها السلطة من [illegible] اللاهوتية وقوة الكهنة الروحانية

٢- والمرحلة الميتافيزيقية التي حدث فيها نوع من الفوضى تعرضت فيها كل من السلطة الدينية والسلطة الروحانية للهجوم.

٣- والمرحلة الوضعية التي تكون فيها رجال العلم [illegible] قوة روحية جديدة وتسود فيها المعرفة الوضعية [illegible] [illegible] وضعية أيضاً وتصبح كل العلوم حتى الإنسانية [illegible] في [illegible] وفي المرحلة [illegible] والموضوعية [illegible] ومقولاتها حتى لقد أطلق على علم الاجتماع [illegible] الفيزيقا الاجتماعية(1) وقال [illegible] إننا مادمنا نفكر بشكل وضعي في مجال علم الفلك أو الفيزياء لم يعد بإمكاننا أن نفكر بطريقة مغايرة في مجال السياسة أو الدين فالمنهج الوضعي الذي نجح في علوم الطبيعة يجب أن يمتد إلى كل مجالات التفكير(2)

(1) المرجع السابق، ص ٢٦٦، ٢٦٧.

(2) [illegible] ص ٢٨، رسالة ماجستير تحت الطبع

لأنه قد رأى كل أنماط التفكير وكل ألوان المعارف وكافة العلوم صادرة عن مصدر واحد للمعرفة هو «الواقع المحسوس»، فكل المعارف «تجريبية»، ومن ثم يمكن التعبير عنها «بلغة الفيزيقا».(1)

هكذا بدأت وتبلورت «الوضعية الغربية» بمدارسها المختلفة، وانقساماتها التي تمايزت في الفروع والتفاصيل والتخصصات: الوضعية، والوضعية المنطقية، والتجريبية والسلوكية والمادية بمذاهبها وفروعها... إلخ إلخ.

فكما حرَّم اللاهوت الكنسي الغربي المعرفة «الواقعية» لجاليليو [1564 - 1642م] حرَّمت الوضعية الغربية المعرفة «الإيمانية»، معتبرة إياها إفرازًا بشريًا طفوليًا، تجاوزه العقل البشري عندما تجاوزت الإنسانية مرحلة طفولتها.

وهكذا عاد الخلل إلى مصادر المعرفة وإلى أدواتها. عندما قامت على ساق واحدة هي «كتاب الوجود» معرضة عن ساقها الأخرى «كتاب الوحي» عاد إليها هذا الخلل القديم من جديد!

لقد غدت الوضعية «دين الفكر الغربي»، الذي استبدل «بدين الإيمان السماوي»، ثم اتخذت الأشكال المتعددة في الميادين المختلفة.

(1) [الموسوعة الفلسفية المختصرة] ص 417.

• فهي قد جعلت «الوعي» نشاطاً مادياً هو انعكاس للدماغ»، الذي حسبته «العقل». أي أنها قد جعلت «العقل» و«الذهن» مادة، حتى لا يكون هناك شيء في الإدراك والمعرفة غير الحس والمحسوس والحواس. وقال هكسلي «توماس هـ» [١٨٢٥ - ١٨٩٥م]: «يبدو أن الوعي متصل بالعمليات الجسمية كمسحة ثانوية لعمل الجسم لا أكثر، وأن ليس له أي قدرة كانت على تعديل عمل الجسم مثلما يلازم صفير البخار حركة القاطرة دونما تأثير على سيرها.. وقال أيضاً في سياق الادعاء بهذه المادية الميكانيكية: إن الأفكار التي أعبر عنها بالنطق وأفكارك فيما يتعلق بها، إنما هي عبارة عن تغيرات جزيئية»[1].

وقد غدت هذه النظرية الحسية التي تنكرت لما دون المحسوس ونحوه، كانت صاحبتها أي «نظرية جديدة» في الاعتقاد.

فالدهريون الأول قد قالوا: «ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر»[2]، ورأوا في الموت نهاية كل شيء، يستوي في ذلك «الجسم» و«العقل» و«النفس» و«الروح» و«الفكر» و«الإرادة».. فالناس -كما قالوا- هم مثل الزرع تراه مخضراً، ثم تراه ثم يصير حصاداً لا عودة له ولا بعث ولا نشور. لأنه -كما قال هؤلاء الماديون-: «إذا كان التفكير والإرادة ينتجان من أنسجة الدماغ فسيختفيان بفناء الدماغ وإذا كان

(1) روبرت م. أغروس، جورج ن. ستانسيو [العلم في منظوره الجديد] ص ٣٥، ٣٦. ترجمة كمال خلايلي. طبعة الكويت - عالم المعرفة سنة ١٩٨٩.

(2) سورة الجاثية: ٢٤.

كل جزء من أجزاء الإنسان مادة فلا بد من أن يكون كل جزء منه عرضة للفناء»(١)

وانطلاقاً من هذه الفلسفة المادية للعلم الغربي انطلق داروين تشارلز [١٨٠٩-١٨٨٢م] ففسر على الطريقة نشأة الأحياء تفسيراً ... وإلى هذه النتيجة ... أنه عرف ... فهي ... ذاتية بواسطة التفاعلات والتغيرات الكيميائية التي عرفت المواد الأولى التي تخلقت منها كما تحقق النوع ... من مادة ... بالتغيرات الكيميائية فما قاله هكسلي في علم الفكر قاله داروين في علم الأحياء.

وتطبيقاً لهذه النزعة المادية - في عالمي الأفكار والأحياء، في الاجتماع والأموال والثروات والاقتصاد قال ماركس [١٨١٧-١٨٨٣م] إن تطور المجتمعات والاجتماع البشري إنما هو بشكل المحرك الأول الواقع المادي والاقتصادي قوى الإنتاج وعلاقات الإنتاج، فالمعرفة صورة تعكس الواقع في الفكر، وهي قائمة على الممارسة تبدأ بالإدراكات الحسية للأشياء(٢)، ولا شيء غير الواقع المنعكس في فكر الإنسان بواسطة ... الدماغ ... أما الله والدين، وكل ما جاء به كتب الوحي، فهو خيال وخرافة اخترعها المحرومون تعزية لأنفسهم، أو الخبثاء الأغنياء تخديراً للفقراء.

(١) [العلم في منظور الحضارة] ص ٢٠
(٢) [الموسوعة الفلسفية] ... ترجمة سمير كرم - طبعة بيروت سنة ١٩٧٤م

وبقد تصاعدت المركسية بهذه «الدهرية» المنكرة للمصدر الوحي وانحطت به للدين عن مستوى «تحرير» البشرية إلى حد جعلته مهمة تاريخية بعد الثورة التي تحدث بمجتمعاتها على الأديان ومجتمعاتها باقتلاع الدين واجتثاث اقتلاع من هذه المجتمعات جاعلة من هذه المهمة جزءًا لا يتجزأ من «تحريرها» الإنسان من «القيود»!

لقد تنوعت مدارس الفكر الغربي ومذاهبه وتعددت في إطار نهضته الحديثة العلوم والمعارف والتخصصات لكن الوضعية والنزعة المادية والمذهب الحسي في المعرفة كانت القاسم المشترك الأعظم في معظم هذه المدارس والمذاهب والمعارف والتخصصات حتى لقد تطبع فكر النهضة الغربية الحديثة بهذا الطابع المادي الحسي إلى حد كبير

ولقد تزامن ذلك مع تراجع حضارتنا الإسلامية وبدء الموجة الاستعمارية الغربية الحديثة التي حملت إلى بلاد الإسلامية بعد خضوعها لهيمنة هذه الموجة الاستعمارية من النهب الاقتصادي والغزو الأمني والسياسي ما رغبته هذه في المعرفة الحسية والنزعة المادية فتعددت ريح التوجهات الفكرية الغربية الأولى من جديد مع تغير في موقع الفرقاء فبعد الفتوحات الإسلامية نهض الإسلاميون بمواجهة مذهب المعرفة الحسية الذي وقف عند المحسوس والمحسوس نهضوا بمواجهة مذهب الإسلام في المعرفة في البلاد التي فتحها المسلمون بعد قدموا البديل الإسلامي في المعرفة كجزء من

المشروع الحضاري الإسلامي الذي انتصر وعم لأكثر من عشرة قرون – منارة العالمين.

واليوم وبعد الغزو الغربي لوطن العروبة وعالم الإسلام منذ نحو قرنين من الزمان اقتحم الفكر الغربي على العقل المسلم دياره ومعاقله، محاولاً أن يفرض عليه [illegible] يريد فرضه نموذجه الحضاري الغربي المؤسس على النزعة المادية والحسية في المعرفة، الأمر الذي يجعل من شعار "إسلامية المعرفة" التعبير عن مهمة ثقافية ورسالة فكرية هي المدخل والسبيل والأداة لبلورة الصورة المعاصرة للمشروع الحضاري الإسلامي الذي لابد لنا من إحيائه وتجديده لنواجه به المشروع الغربي.

فالقضية إذن أكبر من مهمة ثقافية، وأخطر من مسألة فكرية، وأعظم من مهمة أكاديمية، إنها جزء من المشروع الحضاري الإسلامي الذي يمثل ما نسميه باليقظة الإسلامية الحديثة دليل العمل الذي يسير بهذه اليقظة بطريقها، والبرنامج الذي لا يكتب أمن هذه اليقظة وطوق النجاة لأمتنا من هوة التبعية الفكرية والاستلاب الحضاري الذي أقام له الآخر الحضاري في عقر دارنا المؤسسات التي تبث مذهبه في المعرفة ومنهجه في صياغة الواقع وتشكيل الحياة.

تلك هي المهمة التي يطرحها شعار "إسلامية المعرفة" على العقل المسلم، في المنعطف التاريخي والظرف الحضاري الذي نعيش فيه.

(٧)
وقسمة في مشروعنا الحضاري البديل

ونحن مع مزيد العقل الإسلامي ثقة في خطر هذه القضية.. قضية إسلامية المعرفة.. واطمئنانا إلى توافر إمكانات النجاح فيها.. غير القياس على انتصار أسلافنا العظام على الوضعية القديمة والدهرية القديمة.. أن كثيرًا من دوائر الفكر الغربي ذاته قد حدث تفيق من خدر الاطمئنان الذي خدعتها به موجة المعرفة الحسية خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين.

لقد شهد العلم الغربي، منذ العقود الأولى للقرن العشرين، العديد من الاكتشافات العلمية، التي يعدها المؤرخون له بمثابة الثورات التي كشفت عورات افتقار المعرفة الحسية والمادية إلى التوازن.. ومن ثم افتقادها لمقومات «الصدق المعرفي».

● ففي الفيزياء.. مثلت أبحاث ونظريات ومكتشفات أينشتاين Einstein [١٨٧٩ - ١٩٥٥م]، وبور Bohr [١٨٨٥ - ١٩٦٢م]، وهايزنبرج Heisenberg [١٩٠١-١٩٧٦م] ثورة كبرى.

● وفي مبحث الأعصاب، مثلت أبحاث ومكتشفات شرينجتون Sherrington [١٨٥٧ - ١٩٥٢م]، وإكلس Eccles من مواليد ١٩٠٣م، وسبري Sperry [١٨٦٠ - ١٩٣٠م]، وبنفيلد Penfield ثورة جديدة.

• وفي علم النفس، مثلت بحوث ومكتشفات فرانكل Frankl وماسلو Maslow، وماي May ثورة أخرى.

• وفي علم الكيمياء كانت نظرية الأبعاد [illegible] والنظرا الأساسي فقد فقد حديثا مع ثورات في الفيزياء والأعصاب وعلم النفس الأسس الجديدة للمعرفة غير الحسية وبحضور أن لا نقف على الحس وحده، وبعد رواد الاختصاص من علماء الفيزياء معنى هذه الثورات العلمية لم تمس المنظور الحديث الذي كان سائدا في العلم الغربي للإنسان ولمكانته في العالم فحسب بل شيء يقدم تفسيرا جديدا».

لقد كان المنظور السائد في دوائر العلم الغربي قبل حقبة الموجة الثالثة والحسية في المعرفة هو أن لا وجود إلا للمادة وأن الأشياء جميعها قابلة للتفسير تبعا للمادة فحسب، وهكذا يتحتم أن تكون حرية الاختيار وهما من الأوهام مادامت المادة غير قادرة على التصرف الحر، ولما كانت المادة عاجزة عن أن تخطط أو تهدف إلى أي شيء فلا سبيل إلى العثور على حكمة وراء الأشياء الطبيعية [عالم الغيب] من أن العقل ذاته يعتبر نتاجًا ثانويًا لنشاط الدماغ.

ولقد وصف برتراند راسل Bertrand Russell [١٨٧٢ - ١٩٧٠م] هذا المنظور الذي ساد دوائر المعرفة والعلم الغربي فقال: إن يكون الإنسان نتاج أسباب لا تملك أية

الملازمة لما تحققه من غايات، ولأن تكون منشؤه ونموه ومخاوفه وصبواته ومعتقداته مجرد حصيلة لرصف ذرات عرضي، ولأن تعجز أي حماسة مشبوبة أو بطولة، أو أي حدة في التفكير و الشعور عن الإبقاء على حياة فرد واحد فيما وراء القبر، ولأن يكون الدمار هو المصير المحتوم لكل عناء الأجيال، ولكل التفاني، ولكل عبقرية الإنسان لدى تألق الشمس في رائعة النهار، كل هذه الأمور إن لم تكن حقا غير قابلة للجدل فإنها مع ذلك تقترب من اليقين إلى حد سيندحر معه على أي فلسفة ترفضها أن يكتب لها البقاء، وعلى ذلك لا يمكن بناء موطن الروح بأمان إلا في إطار هذه الحقائق وعلى أساس راسخ من القنوط المقيم.

نعم لقد سادت «نظرية القنوط المقيم» مما وراء المادة في مقدمة النهضة الحديثة للمعرفة الغربية الحسية والعلم الغربي المادي ... حتى عمم هذه النظرة على جميع العلوم المادية منها والإنسانية.

لكن المؤرخين للجديد في العلم الغربي الذين رصدوا الثورات المعاصرة في هذا العلم يقولون إن ذلك التصور «المادي القانط» قد طويت صفحته بهذه الثورات العلمية المعاصرة ومعطياتها في نظرية المعرفة. وبعبارة عالم الفيزياء هنري مرجينو Henry Margenau: «إن العقيدة الأساسية للمذهب المادي هي أن الحقيقة كلها تكمن في المادة. وهذا رأي كان مقبولا بعض القبول في أواخر القرن الماضي [التاسع عشر] غير أن أمورا كثيرة حدثت في هذه الأثناء تكذب هذا الرأي».

وبعبارة عالم الفيزياء فيرنر هايزنبرج: «إن الفيزياء الذرية المعاصرة قد نأت بالعلم عما كان يتسم به من اتجاه مادي في القرن التاسع عشر».

إننا – نحن – أمام جديد، وبإزاء تحولات في مدنية المعرفة الغربية، تحولات عن النزعة المادية البحتة والحسية الصرفة.

لقد قال الإمام الغزالي قديمًا: «طلبنا العلم لغير الله فأبى أن يكون إلا لله». ولقد بدأ جراح الأعصاب «وايلدر بنفيلد» تجاربه على الدماغ بهدف إثبات النظرية التي كانت سائدة في الفلسفة المادية – الدماغ يفسر العقل – لكنه وصل – عبر رحلة من العمر – يربو على نصف قرن – إلى إثبات عكس هذه النظرية المادية، ووصل إلى أن العقل غير الدماغ، «فالدماغ هو مقر الإحساس والذاكرة والعواطف والقدرة على الحركة، لكنه ليس مقر العقل أو الإرادة، والعقل لا الدماغ هو الذي يراقب ويوجه في آن معًا، وهو الذي يتخذ القرارات وينفذها مستعينًا بمختلف آليات الدماغ».

لقد وصل بنفيلد إلى هذه الحقائق، ورتب عليها معطياتها في نظرية المعرفة، فكتب في كتابه [لغز العقل]:

«إنه أقرب إلى المنطق أن نقول إن العقل ربما كان جوهرًا متميزًا ومختلفًا عن الجسم».

وأمام هذا الذي قاله نتذكر تعريف الإسلاميين للعقل بكلمات الشريف الجرجاني [٧٤٠-٨١٦هـ = ١٣٤٠-١٤١٣م]

«هو جوهر مجرد عن المادة في ذاته مقارن لها في فعله جوهر روحاني خلقه الله تعالى متعلقا ببدن الإنسان نور في القلب يعرف الحق والباطل»

ويذكر أيضا تعريفه لـ «القلب» الذي يعقل ويفقه كما جاء في القرآن الكريم - والذي يقول عنه إنه لطيفة ربانية لها بهذا القلب الجسماني الصنوبري الشكل المودع في الجانب الأيسر من الصدر تعلق وتلك اللطيفة هي حقيقة الإنسان ويسميها الحكيم النفس الناطقة وهي المدرك والعالم من الإنسان والمخاطب والمطالب والمعاتب.

إنه التعريف الإسلامي الذي لم ير الإنسان مجرد مادة تفرز الفكر بالتفاعلات الجزيئية لهذه المادة

ومن هذا المعنى يقترب العلم الغربي المعاصر بتجارب علمائه على الأعصاب!

بل لقد خطا «وبلدر بنفيلد» خطوة أخرى هامة عندما قال متعجبا - وهو الذي بدأ أبحاثه بهدف دعم النظرة المادية والحسية للمعرفة - قال: «... فيا له من مؤشر إلى أن نكتشف أن العالم يستطيع بدوره أن يؤمن عن حق بوجود الروح، وإذا كان العقل والإرادة غير ماديين فلا شك أن هاتين الملكتين على حد تعبير «إكلس» - «لا تخضعان بالموت للتحلل الذي يطرأ على الجسم والدماغ كليهما»(1)

(1) العلم في منظوره الجديد ص ٣٩، ٤٢، ٤٣

إننا إزاء إيمان بالروح وبعالم يحتويها وانتصار بعد تحلل الجسم وفناء المادة بعد نهاية المطاف.

وهنا تتصادم هذه الرؤية الجديدة... مع أكثر "التجريبية الإسلامية" الموصوفة قبل أن ننتهي منه من منطلق لكي يبقى «البديل الإسلامي» متميز فهو لا ينطلق في المعرفة فقط من الواقع والحس والتجربة وإنما ينطلق أيضا من «كتاب الوحي» وهو ما يعتقده ويفتقر إليه هؤلاء التجريبيون الجدد الغربيون»!

لقد اكتسب المفكر من هؤلاء أن العالم المسلم الذي ينطلق من «كتاب الوحي» و«كتاب الكون» فإنه يكتسب بالتجربة في «كتاب الكون» الأسرار التي أودعها صاحب الوحي و«خالق الوجود» فهو ينطلق من الإيمان الديني ينطلق من «الشرعي» لاكتشاف المدني الكوني ثم يوظف ثمرات العلم المدني الكوني في دعم الإيمان الديني الشرعي» ويكون لذلك أكثر خلق الله خشية له ﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾(١)

فالتطور الذي يحدث في العلم الغربي المعاصر ومعطياته في نظرية المعرفة هو مما يدعم ثقتنا في «البديل الإسلامي» ويزيد من إلحاح هذه القضية على العقل المسلم... علومنا

(١) سورة فاطر ٢٨

من آثار الموجة المدنية للعلم العربي الحديث، ونصاعة هذه العلوم ودقة صياغة اصطلاحات المعرفة، والاستفادة بما بث في تركيبة وترشيد هذا الموجة الحديثة ومولد عهد [illegible]

* * *

إن الإسلام الذي صاغ الأمة عندما صنع حضارتها بنسقها أنه [illegible] حقيقة العلاقة بين الشرعي والمدني في المعارف والعلوم

إن هذا الإسلام الذي صاغ الأمة ومنهجه في المعرفة هذه الصياغة الإبداعية المتميزة، هو الذي صاغ [illegible] وبسبب ذلك [illegible] علماء هذه الأمة صياغة متميزة كذلك

تجريبيون [illegible] وروحانيون [illegible] فكانت حيث الفكرية، والعلمية من ذلك [illegible] بين الشطر والتجريبي من النص الديني و[illegible] بين «الشرعي» و«المدني»

فالفلسفة وصنع السبيل تسوق الإنسان لعبادة الله ولعمران الكون مستفيد في ذلك كله بكتابي الوحي والوجود، ومن هنا

● كان أبو الوليد ابن رشد [٥٢٠ - ٥٩٥هـ = ١١٢٦ - ١١٩٨م] يفرغ الفيلسوف من فتواه في الفقه كما يفرغ من فتواه في الطب فهو طبيب التجربة والعقل الأصولي لمشكلة الحكم به صاحب [كتاب الكليات] في الطب و[بداية المجتهد ونهايته

المقصد] في نقده و[مناهج الأدلة في عقائد الملة] و[فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال] في علم الكلام والتوحيد.

● وكان ابن سيناء أبو علي الحسين بن عبد الله [٣٧٠-٤٢٨هـ/٩٨٠-١٠٣٧م] أستاذ الرئيس في الشرق والغرب في الإلهيات والطبيعيات وفي التصوف والأدب واللغة. ومن بعض آثاره في الطب [القانون] وفي الحكمة والإلهيات [الشفاء] و[النجاة] و[أسرار الحكمة المشرقية] وفي التجريبيات الطبيعية [النبات والحيوان] و[الهيئة] و[أسباب الرعد والبرق].. إلخ

● وكان البغدادي أبو منصور عبد القاهر بن طاهر [٤٢٩هـ-١٠٣٧م] - وهو الذي اشتهر ببراعته المتميزة في أصول الدين - المبرز في الحساب وفي الهندسة، حتى لقد قالوا: إنه كان يدرس في سبعة عشر فنًا! ومن آثاره [أصول الدين] و[تفسير القرآن] و[معيار النظر] و[التكملة في الحساب] و[رسالة في الهندسة].. إلخ.

● وكان الخيام، أبو الفتح عمر بن إبراهيم [٥١٥هـ-١١٢١م] اللغوي الشاعر والفيلسوف المؤرخ والرياضي الفقيه والمجدد الفلكي. ولقد بقيت لنا من آثاره [مقالة في الجبر والمقابلة] و[شرح ما أشكل من مصادرات إقليدس] و[الاحتيال لمعرفة مقداري الذهب والفضة في جسم مركب منهما] و[الرباعيات] و[الخلق والتكليف] وغيرها من الآثار الشاهد

تنوعها وتكاملها على هذا المذهب الاسلامي في تكامل مصادر المعرفة وتكامل أدواتها، ومعرفة علمائها.

● وكان الفخر الرازي، ابو عبدالله فخر الدين محمد بن عمر [٥٤٤ - ٦٠٦هـ ١١٥٠ - ١٢١٠م] الامام في علوم الدنيا والدين جميعا، حتى لقد قال مؤرخوه: انه كان أوحد زمانه في المعقول والمنقول وعلوم الاوائل... ومن بين اثاره الكثيرة والجامعة لأقطار المعرفة وتخصصاتها نجد: مفاتيح الغيب في تفسير القرآن الكريم، و"معالم أصول الدين"، و"لوامع البينات في شرح أسماء الله الحسنى والصفات"، و"نحو البحث في التوحيد وأصول الدين"، و"محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين"، و"نهاية العقول"، و"البيان والبرهان" في الفلسفة - و"المباحث المشرقية" في التصوف، و"السر المكتوم" في الفلك والنجوم، في النبوة والرسالة والنفس - في علم النفس... كما ابدع في الهندسة كتاب الهندسة، وكتاب مصادرات اقليدس... الخ.

هكذا تجسد توازن وتكامل مصادر المعرفة في المنهج الإسلامي، وتوازن تكامل أدوات وسبل تحصيلها في هذا المنهج. هكذا تجسد في العلم الإسلامي وفي العقل الاسلامي وفي تراث علماء الاسلام فكان الاشتغال بجميع العلوم، الشرعي منها والمدني، والنظري منها والتجريبي عبادة وقربة الى الله، وامتثالا لأوامره وتكليفاته، فالعلوم الشرعية تعرف المقاصد الإلهية في العمران البشري وبالعلوم المدنية يقيم

البشر العمران لدى استخلفهم خالقهم لإقامته في هذا الوجود وفيهما معًا وبهما جميعًا مكتشفون بأن الله [illegible] سبحانه وتعالى [illegible] في الأنفس والآفاق فمنطق العلم يبدأ المنهج في المعرفة لدى المفتوح دائمًا وأبدًا لاكتشاف الحقيقة في عالم الشهادة وبعد قواعد الإبصار [illegible] وعالم الغيب وصدق الله العظيم [illegible] يقول: ﴿سنريهم [illegible] في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق﴾(1)

ولما كانت هذه هي سمات ومميزات [illegible] في منهج الإسلامية المعرفية [illegible] وفي المعارف والعلوم التي تثمرها هذا المنهج وفي العلاقة [illegible] التي يترسمونها في إدراك وتحصيل هذه المعارف والعلوم [illegible] لكل [illegible] تكون الصورة سلبية وشائهة على جبهة الحضارة التي أحمر فيها ميزان هذا [illegible]

ومن هنا لا يدرك [illegible] كثيرًا عما إذا هو فرق بين هذا الاستكبار الذي أصاب [illegible] على الجبهة الإسلامية وبين واقع النهضة [illegible] العربية [illegible] النهضة [illegible] والشرق في [illegible]

● فقد كان التقدم العلمي في علوم [illegible] وتنكر الوحي والدين حتى [illegible] الاكتشافات [illegible] أصحابها إلى [illegible] الإنسان [illegible] المنكرة [illegible] المعبرة عن هذا الخلق [illegible] تعالى الله عما صاحوا به علوًّا كبيرًا!

(1) سورة فصلت: 53

● وكان لكثير من تجارب هذا المنهج المختبري [illegible] على

ساق المعرفة الحسية وحدها [illegible] وبخاصة في العلوم الاجتماعية

والإنسانية [illegible] ثمرات مهمة في الوقت الذي [illegible]

ونقد وموضوعية لقيود الصنعة والحرفية [illegible]

الجمهور [illegible] تكشف [illegible] والأمراض [illegible]

[illegible] الأعوج [illegible]

إلى أمراض [illegible] وإلى [illegible]

[illegible] حتى وإن [illegible] بعض الأبصار

وثمة [illegible] والفلسفات [illegible]

خرجت عن [illegible] ملابسات غربية خاصة [illegible] فلقد

[illegible] العلمية والموضوعية والحداثة [illegible]

يفرضونها على البشرية جمعاء؟

وبسبب من انتشار [illegible] والحسي [illegible] المعرفة في هذه

النهضة الغربية [illegible]

الشعوب المستضعفة وتدميره [illegible]

في مجتمعاتها [illegible]

عن ذلك رسالة حضارية يدفع الرجل الأبيض ضريبة تشرفه

من العالمين

وبسبب من هذا الطابع الحسي والمادي [illegible]

التطبيقات الغربية [illegible] في العلم التجريبي كانت

تطبيقاتها في دمار البيئة وتلويثها والإحلال [illegible] وكذلك

قهره للأمم الأخرى رسالة حضارية، فقد اعتبر العدوان على

الطبيعة «رسالة حضارية» أحرى أن تجعل من عنوان «قهر الطبيعة» و«السيطرة عليها» و«تسخيرها للإنسان» عدوانا عليها؟

ولأن هذا المنهج الحسي والمادي لا يعرف غير الواقع المحسوس ولا يؤمن بغير عالم الشهادة فلقد تقزم الفردية التي لا ترى للحياة الإنسانية مقاصد غير الوفرة المادية التي تحقق للإنسان ذاته وشهواته التي لا تتناهى عند حدود... ونموذجه القسوة والعنف والصراع الذي لا يعرف السكون.

لقد أثمر هذا المنهج في المعرفة الغربية علوما ومعارف ومداخل تحقق للإنسان قوة المفترس الذي يأكل في سعة النعماء، بينما عجزت عن تحقيق الإشباع الروحي لهذا الإنسان فاختل توازنه عندما لبت له حاجات الجسد دون حاجات الروح حتى لقد أدى هذا الخلل إلى تهديد الجسد ذاته بالدمار لغياب دور الروح في ترشيد الإشباع المادي لجسد هذا الإنسان.

* * *

إن ما أشرنا إليه من تحولات حديثة في فلسفة العلم الغربي المعاصر، تحولات في فلسفة المعرفة ومناهجها. هي حوافز لمزيد من الثقة بمنهجنا الإسلامي المتميز في المعرفة... لابد أن تدفعنا إلى مزيد من الجهد لبلورة منهج... منهج «إسلامية المعرفة» وصياغة علومنا الإنسانية وفلسفة علومنا الطبيعية وفقا له.

وإن ما نشهده من سقوط وتراجع الكثير من مذاهب الغرب ونظرياته التي تهرب الانتصار لعقود عديدة من الزمن، سقوطها وتراجعها كما في الفكر الماركسي، وكشف الأمراض التي تكتسح الصحة والنفسية ليو حاجز جر لمريد من الجهد الذي تحت ... في هذا الميدان، ولا عجب، الذي لا يكشف في سقوطه وتراجع الماركسية والداروينية والوجودية والفرويدية، والكثير من المذاهب وصنع البحث والنقد في الفنون والآداب من الذي لا يكشف في ... حملا حقيقة واكبا في المنهج المادي والحسي للمعرفة التي تقوم هذه المذاهب والنظريات، ونرى في هذا كله ما يؤكد على ضرورة بلورة المنهج البديل؟

بعد طمسنا بجمود وتقليد، تتحقق ضرورة المنهج الإسلامي المتميز في المعرفة عندما وقفنا عند تراث عصر تراجعنا الحضاري، وتم تحول المنهج الغربي في المعرفة الذي واجه به علماء عصر النهضة مذاهب المعرفة الحسية عند الأمم والنحل الأخرى لم نوجه ما هو أهل له من الاهتمام

وضعف هذا المنهج الإسلامي مرة أخرى بتقليد «النموذج الغربي» في نظرية المعرفة، كما في الوضعية والمادية والتجريبية المعاصرة الغربية، واتخذت شكلا لا رجع في علوم الإنسانية والاجتماعية وفي فلسفة العلوم الطبيعية

وبعد كل هذا السقوط لتحلف المورود ... عبر عنهم وغير الملائم السبب الأول في عقوب الشديد في الإبداع

وما كان لأمة أن تبدع في علوم حضارتها المتميزة إلا إذا هي بلورت منهجها المتميز في المعرفة. وإذا كانت اليقظة الإسلامية المعاصرة مدعوة إلى بلورة سبيلها الحضاري كدليل لنهضتها المنشودة؛ وذلك حتى لا تسقط في هاوية «التبعية» و«الاستلاب الحضاري» أو تضل الطريق فإن المدخل إلى هذا الإنجاز هو «إسلامية المعرفة». حتى يأتي هذا «السبيل» إسلاميًا حقًا فقضيتنا - إذن - قضية «إسلامية المعرفة» هي جزء من مشروع حضاري متكامل وليست مجرد قضية ثقافية خاصة بدوائر المثقفين والمفكرين.

إنها قضية أمة تريد أن تنهض في مواجهة تحديات شرسة وقضية دين أنعم الله علينا بأن هدانا إليه والتدين به.

وقضية حضارة صاغ أسلافنا العظام علومها ومعارفها بهذا المنهاج.

ولن يصلح السبيل الحضاري الإسلامي المعاصر الذي نريد به مواجهة التحدي المعرفي الحديث إلا بما صلح به السبيل الحضاري الإسلامي الأول الذي واجه به أسلافنا التحدي المعرفي القديم.

إنها قضية قديمة - جديدة - تمثل واحدة من أبرز القسمات التي تميز وتتميز بها الإسلام الدين والحضارة على عديد من النحل والفلسفات والحضارات.

إن «إسلامية المعرفة» تعني «حضارة مؤمنة» تقوم على «عقلانية مؤمنة» يصطنعها علماء هم أكثر الناس خشية لله».

● وإذا كانت الوضعية العلمانية، التي عزلت «المعرفة» عن الدين والوحي وعن السماء، قد جعلت الدين وضعيًا بشريًا ... إذ كانت هذه الوضعية قد أثمرت ... وثمرتها نموذج فيلسوفها الوحيد كونت ... ذلك الذي قطع المحاضرات التي بدأ إلقاءها سنة ١٨٢٦م [الفلسفة الوضعية] ... وهي التي كونت مؤلفه الرئيسي ... انقطع بسبب إصابته بمرض عقلي أعقبته محاولته الانتحار غرقًا في نهر السين سنة ١٨٢٧ لفرط اليأس والقنوط

ولدى تعرفه على كلوتيلد دي فو ... وهي نحو ... في ... حرمانها ... ثم ... قلبه ... حب امرأة متزوجة من رجل هارب من ... كلوتيلد دي فو ... فكان ... كما يقول مؤرخو فكره السبب في ... طبعًا جديدًا ... مطبوع ... لنقلة ... وتعاليم الدين الوضعي[1]

... كان هذا هو حال العلم والعلماء ... حسبه ... الفصام النكد بين الأرض والسماء ... بين الكون والوحي بين الدين والآخرة ... بين المدني والشرعي

● فإن الإسلامية المعرفة شأن آخر ... ضرب ... من العلماء مختلفين

(١) [الموسوعة الفلسفية المختصرة] ص ٣٦٦، ٣٦٧.

لقد كان عالمنا أبو عثمان عمرو بن عبيد [٨٠-١٤٤هـ/ ٦٩٩-٧٦١م] [illegible] في [illegible] الشورى والحرية والعدل [illegible] وصرحاً من صروح العقلانية الإسلامية [illegible] والجهد [illegible] والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر [illegible] إذا رأوه قائلين «هذا خير الناس»

[illegible] البصري [illegible] يقول [illegible] ذكر [illegible] العقلاني [illegible]

والفيلسوف العقلاني الذي [illegible] على [illegible] بالاعتزال [illegible] بالاستقامة [illegible] على الدين [illegible]

وهو [illegible] في [illegible] والبصرة [illegible] حج [illegible] بيت الله الحرام سيراً على قدميه من البصرة إلى مكة [illegible] مرة [illegible] على قدميه [illegible] عليه الفقراء والضعفاء»[1]

هذه هي [illegible] بضاعة [illegible]

[illegible] فكري [illegible] حضاري [illegible] الذي [illegible] به الحلق بالانحراف [illegible] الذي قدم «الوصفة [illegible]»

[1] انظر [illegible] ١٩٨٨م.

المصادر

- القرآن الكريم .
- كتب السنة :

[صحيح البخاري] طبعة دار الشعب القاهرة

[صحيح مسلم] طبعة القاهرة سنة ١٩٥٥م

[سنن الترمذي] طبعة القاهرة سنة ١٩٣٧م

- [سنن النسائي] طبعة القاهرة سنة ١٩٦٤م

- [سنن أبي داود] طبعة القاهرة سنة ١٩٥٢م

[سنن ابن ماجه] طبعة القاهرة سنة ١٩٧٢م

- [سنن الدارمي] طبعة القاهرة سنة ١٩٦٦م

[مسند الإمام أحمد] طبعة القاهرة سنة ١٣١٣هـ

- الكتب المطبوعة :

آدم متز : [الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري] ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريدة طبعة بيروت سنة ١٩٦٧م

ابن جلجل : [طبقات الأطباء والحكماء] تحقيق فؤاد سيد طبعة القاهرة سنة ١٩٥٥م

ابن القيم : [إعلام الموقعين] طبعة بيروت سنة ١٩٧٣م و[الطرق الحكمية في السياسة الشرعية] طبعة القاهرة سنة ١٩٧٧م

ابن منظور : [لسان العرب] طبعة دار المعارف القاهرة

البلخي والقاضي عبد الجبار والحاكم الجشمي : [فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة] تحقيق فؤاد سيد - طبعة تونس سنة ١٩٧٣م

التهانوي : [كشاف اصطلاحات الفنون] طبعة الهند سنة ١٨٩٢م

الجرجاني (الشريف) : [التعريفات] طبعة القاهرة سنة ١٩٣٨م

روبرت م. أغروس، جورج ن. ستانسيو : [العلم في منظوره الجديد] ترجمة كمال خلايلي طبعة الكويت سنة ١٩٨٩م

حسين مؤنس (دكتور) [أطلس تاريخ الإسلام] طبعة القاهرة سنة ١٩٨٧م

روزنتال م. ويودين ب. [الموسوعة الفلسفية] ترجمة سمير كرم – طبعة بيروت سنة ١٩٧٤م

زكي نجيب محمود (دكتور) (إشراف) [الموسوعة الفلسفية المختصرة] طبعة القاهرة سنة ١٩٦٣م

الطهطاوي (رفاعة رافع) [الأعمال الكاملة] دراسة وتحقيق د. محمد عمارة – طبعة بيروت سنة ١٩٧٧م

عبد الوهاب الكيالي (دكتور) (إشراف) [الموسوعة السياسية] طبعة بيروت سنة ١٩٨٣م

مجمع اللغة العربية – القاهرة [معجم ألفاظ القرآن الكريم] طبعة القاهرة سنة ١٩٧٠م [المعجم الفلسفي] طبعة القاهرة سنة ١٩٧٩م

محمد أمزيان [منهج البحث الاجتماعي بين الوضعية والمعيارية] رسالة ماجستير – تحت الطبع

محمد عمارة (دكتور) [الطريق إلى اليقظة الإسلامية] طبعة القاهرة سنة ١٩٩٠م و[مستقبلنا [illegible]] طبعة القاهرة سنة ١٩٨٨م

محمد فؤاد عبد الباقي [المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم] طبعة دار الشعب – القاهرة

مراد وهبة (دكتور) ويوسف كرم ويوسف شلالة [المعجم الفلسفي] طبعة القاهرة سنة ١٩٦٦م

[illegible] [[illegible] التاريخ الإسلامي] ترجمة إبراهيم زكي خورشيد – طبعة القاهرة سنة ١٩٥٥م

ونسنك (أ. ي.) وآخرون [المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي الشريف] طبعة ليدن ١٩٣٦–١٩٦٩م

اليونسكو [معجم العلوم الاجتماعية] طبعة القاهرة سنة ١٩٧٥م

الفهرس

سلسلة «فى التنوير الإسلامى»

العنوان	المؤلف
١- الصحوة الإسلامية فى عيون غربية	د. محمد عمارة
٢- الغرب والإسلام.	د. محمد عمارة
٣- أبو حيان التوحيدى	د. محمد عمارة
٤- دراسة قرآنية فى فقه التجدد الحضارى.	د. سيد دسوقى
٥- ابن رشد بين الغرب والإسلام.	د. محمد عمارة
٦- الانتماء الثقافى	د. محمد عمارة
٧- تصور العالم	د. زينب عبد العزيز
٨- التعددية. الرؤية الإسلامية والتحديات	د. محمد عمارة
٩- صراع القيم بين الغرب والإسلام	د. محمد عمارة
١٠- د. يوسف القرضاوى: المدرسة الفكرية والمشروع الفكرى	د. محمد عمارة
١١- تأملات فى التفسير الحضارى للقرآن الكريم	د. سيد دسوقى
١٢- عندما دخلت مصر فى دين الله	د. محمد عمارة
١٣- الحركات الإسلامية رؤية نقدية	د. محمد عمارة
١٤- المنهاج العقلى	د. محمد عمارة
١٥- النموذج الثقافى	د. محمد عمارة
١٦- منهجية التغيير بين النظرية والتطبيق	د. صلاح الصاوى
١٧- تجديد الدنيا بتجديد الدين	د. محمد عمارة
١٨- الثوابت والمتغيرات فى اليقظة الإسلامية الحديثة؟	د. محمد عمارة
١٩- نقض كتاب الإسلام وأصول الحكم	د. محمد عمارة
٢٠- التقدم والإصلاح بالتنوير الغربى أم بالتجديد	د. محمد عمارة
٢١- فكر حركة الاستنارة.. وتناقضاته	د. عبد الوهاب المسيرى
٢٢- حرية التعبير فى الغرب من سلمان رشدى إلى روجيه جارودى	د. شريف عبد العظيم
٢٣- إسلامية الصراع حول القدس وفلسطين	د. محمد عمارة
٢٤- الحضارات العالمية تدافع.. أم صراع؟	د. محمد عمارة
٢٥- التنمية الاجتماعية بالغرب.. أم بالإسلام؟	د. عادل حسين
٢٦- الحملة الفرنسية فى الميزان	د. محمد عمارة
٢٧- الإسلام فى عيون غربية.. دراسات سويسرية	ترجمة / أ. ثابت عيد
٢٨- الأقليات الدينية والقومية تنوع ووحدة.. أم تفتيت واختراق؟	د. محمد عمارة
٢٩- ميراث المرأة وقضية المساواة	د. صلاح الدين سلطان
٣٠- نفقة المرأة وقضية المساواة	د. صلاح الدين سلطان
٣١- الدين والتراث والحداثة والتنمية والحرية	د. محمد خاتمى

٣٢ـ مخاطر العولمة على الهوية الثقافية.	د. محمد عمارة
٣٣ـ الغناء والموسيقى حلال أم حرام؟	د. محمد عمارة
٣٤ـ صورة العرب في أمريكا	ترجمة وتعليق/ أ. ثابت عيد
٣٥ـ هل المسلمون أمة واحدة؟	د. محمد عمارة
٣٦ـ السنة والبدعة	تقديم وتحقيق/ د. محمد عمارة
٣٧ـ الشريعة الإسلامية صالحة لكل زمان ومكان	تقديم وتحقيق/ د. محمد عمارة
٣٨ـ قضية المرأة بين التحرير والتمركز حول الأنثى.	د. عبد الوهاب المسيري
٣٩ـ مركسة الإسلام	أ. منصور أبو شافعي
٤٠ـ الإسلام كما نؤمن به.. ضوابط وملامح	د. يوسف القرضاوي
٤١ـ صورة الإسلام في التراث الغربي.	ترجمة/ أ. ثابت عيد
٤٢ـ تحليل الواقع بمنهاج العاهات المزمنة.	د. محمد عمارة
٤٣ـ القدس بين اليهودية والإسلام	د. محمد عمارة
٤٤ـ مأزق المسيحية والعلمانية في أوروبا (شهادة ألمانية)	تقديم وتعليق/ د. محمد عمارة
٤٥ـ الآثار التربوية للعبادات في الروح والأخلاق.	د. صلاح الدين سلطان
٤٦ـ الآثار التربوية للعبادات في العقل والجسد.	د. صلاح الدين سلطان
٤٧ـ السنة النبوية والمعرفة الإنسانية	د. محمد عمارة
٤٨ـ نظرات حضارية في القصص القرآني	د. سيد دسوقي
٤٩ـ الحوار بين الإسلاميين والعلمانيين	د. محمد عمارة
٥٠ـ الإعلان الإسلامي لحقوق الإنسان	تقديم/ د. محمد سليم العوا
٥١ـ عن القرآن الكريم	الشيخ/ أمين الخولي
٥٢ـ في فقه الأقليات المسلمة	د. طه جابر علوان
٥٣ـ مستقبلنا بين العالمية الإسلامية والعولمة الغربية	د. محمد عمارة
٥٤ـ مركسة التاريخ.	أ. منصور أبو شافعي
٥٥ـ نقل الأعضاء في ضوء الشريعة والقانون.	مستشار/ طارق البشري
٥٦ـ السنة التشريعية وغير التشريعية.	محمد الطاهر بن عاشور
	الشيخ/ علي الخفيف
	د. محمد سليم العوا
	د. محمد عمارة
	د. محمد عمارة
٥٧ـ شبهات حول الإسلام.	د. محمد عمارة
٥٨ـ نحو طب نفسي إسلامي.	د. وائل أبو هندي
٥٩ـ واقعنا بين العالمانية وتصادم الحضارات.	عطية فتحي الويشي
٦٠ـ بناء المفاهيم الإسلامية	د. سيف الدين عبد الفتاح
٦١ـ المستقبل الاجتماعي للأمة الإسلامية	د. محمد عمارة
٦٢ـ شبهات حول القرآن الكريم.	د. محمد عمارة



نهضة مصر

إلى القارئ العزيز ..

في هذه السلسلة الجديدة ،

إذا كان «التنوير الغربي» هو تنوير علماني، يستبدل العقل بالدين، ويقيم قطيعة مع التراث..

فإن «التنوير الإسلامي» هو تنوير إلهي : لأن الله والقرآن والرسول - صلى الله عليه وسلم - أنوار تصنع للمسلم تنويراً إسلامياً متميزاً.

ولتقديم هذا «التنوير الإسلامي» للقراء، تصدر هذه السلسلة، التي يسهم فيها أعلام التجديد الإسلامي المعاصر:

- د. محمد عمارة
- المستشار/ طارق البشري
- د. سيف عبد الفتاح
- د. محمد سليم العوا
- أ. فهمي هويدي
- د. يوسف القرضاوي
- د. سيد دسوقي
- د. كمال الدين إمام
- د. عبدالوهاب المسيري
- د. شريف عبدالعظيم
- د. عادل حسين
- د. صلاح الدين سلطان

وغيرهم من المفكرين الإسلاميين ..

إنه مشروع طموح لإنارة العقل بأنوار الإسلام.

الناشر

